

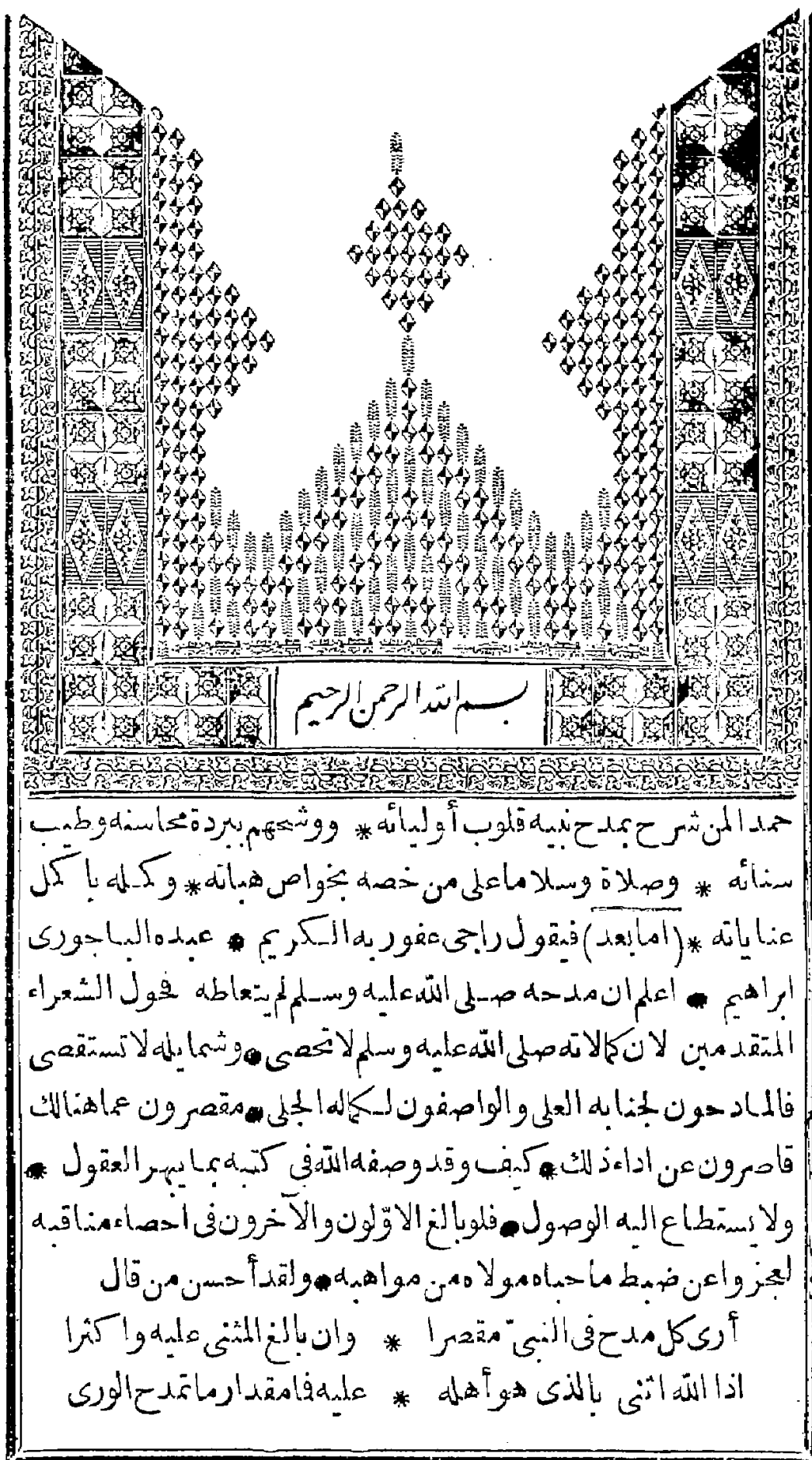
هذا كتاب حاشية العلامة الفاضل * البحر الحبر
التحرير الكامل * شيخ مشايخ الاسلام *
وقدوة جميع الانام * مولانا الشيخ ابراهيم
الباجوري على متن البردة للعارف بالله
تعالى البوصيري نفعنا الله به
والمسلمين آمين

مع محامطة السويس ومضاف ١ أكتوبر ١٨٨٠

١٦١٦٩

١٩٧
١٦١٦٩

هذا كتاب حاشية العلامة الفاضل * البحر الحبيب
التحرير الكامل * شيخ مشايخ الاسلام *
وقدوة جميع الانام * مولانا الشيخ ابراهيم
الباجوري على متن البردة للعارف بالله
تعالى البوصيري نفعنا الله به
والمسلمين آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

حمد المن شرح بمدح نبويه قلوب أوليائه * ووشحهم ببردة محاسنه وطيب
سنائه * وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته * وكلله باكمل
عناياته * (اما بعد) فيقول راجي عفوريه الكريم * عبده الباجوري
ابراهيم * اعلم ان مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه فحول الشعراء
المتقدمين لان كماله صلى الله عليه وسلم لا تحصى * وشمايله لا تستقصى
فالمداحون لجناحه العلي والواصفون لكمال الجلي * مقصرون عما هنالك
قاصرون عن اداء ذلك * كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهرا العقول *
ولا يستطيع اليه الوصول * فلو بالغ الاقلون والآخرين في احصاء مناقبه
لجزوا عن ضبط ما حباه مولا له من مواهبه * ولقد أحسن من قال
أرى كل مدح في النبي مقصرا * وان بالغ المثنى عليه واكثر
اذا الله اتنى بالذي هو أهله * عليه فامقدار ما تمدح الوري

فكل علو في حقه تقصير • ولا يبلغ البليغ الا قليلا من كثير •
 لسكن المتأخرون رأوا مدحه بالشمايل والكمالات • من أعظم القرب
 والطاعات • لاجل التعلق بجنبه الشريف • والتبرك بخدمته قدرة
 المنيف • فأكثرُوا من مدحه وتغنوا فيه فنونا كثيرة • ومن اجلهم
 الامام الكامل • والهمام العالم العامل • البليغ الاديب أشعر العلماء •
 واقصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري •
 ومما صاغه صوغ الذهب الاحمر • ونظمه نظم الدرر والجواهر • قصيدته
 المشهورة بالبردة وأما الشـهـرت بذلك لانه لما نظمها بقصد البرء من داء
 الفالج الذي أصابه فأبطل نصفه حتى أعجز الأطباء رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم في منامه فسمح بيده عليه ولفه في بردته فبرئ لوقته كما ذكره
 الناظم في تعليقه • وقال بعضهم -م الاولى ان يقال لهذه القصيدة برآة لان
 المؤلف برئ بها والتي حقها ان يقال لها بردة بانست سعاد التي هي قصيدة
 كعب بن زهير لان النبي صلى الله عليه وسلم أجازها عليها بردة حين انشدها
 بين يديه • وقد سألتني بعض الاخوان • اصحح الله لي وله الحال والشان
 ان اكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها • فاجبته لذلك
 وان كنت لست اهلا لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتئيت
 بعض الثمرات فقلت وبالله التوفيق لأقوم طريق قد اشتهر ابتداء هذه
 القصيدة ببیت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه
 وسلم وهو

الحمد لله من شبي الخلق من عدم • ثم الصلاة على المختار في القدم
 وهو ليس منها لانه وان كان ثناء حسنا في ذاته الا أن ابتداء القصائد به
 غير مستحسن عند الادباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر
 لوازم العشق من ذكر الاحبة وديارهم ومقاساة الاحزان والاشواق وشمل
 مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا وتشبيها ويعتدون هذا الصنيع من
 حسن المطالع لاهتمامهم بشأن العشق واعتناءهم شدايده ولذلك قال

بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة وقد جرت عادة الشعراء بأنهم
يجردون من انفسهم شخصا يحاورونه دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا
أما ما اندرة خبير يظهر رموز العشق عليه وتخيلا لقلة صديق
يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من أبلغهم وأفصحهم صانع
هذا الصنيع كما استراه ان شاء الله تعالى

أمن تذكر جيران بندي سلم خرجت دمعاً جرى من مقلة بدم

(قوله أمن تذكر الخ) قد جرد المصنف من نفسه شخصا خرج دمعاً الجارى
من مقلة بالدم وخاطبه بذلك مستفهما عن سبب خرج الدمع الجارى
من المقلة بالدم ما هو هل هو تذكر الجيران المقيمين بندي سلم أو محبوب
الريح من جهة كاظمة وإيماض البرق في الليلة الظلماء من اضم وعلم من
ذلك أن الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهي بمعنى لام الاجل وهي متعلقة
بقوله خرجت وقد مها عليه تنبيهاً على أن الشك ليس في نفس المنرج
انه وثابت مشاهد بل الشك في سببه والتذكر مصدر تذكر مأخوذ من
الذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جارواضافة
التذكر اليه من اضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والاصل تذكر
جيراناً فحذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون
لأن من لازم الجوار الذي هو الملاصقة في الاصل المحبوبة فالناظم قد
أطلق اسم المزوم وأراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهي
بمعنى في والمراد بندي سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل
هناك أيضاً والمنرج الخلط وقيل أخص منه لأنه لا يكون الا فيما يصير بعد
الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فإنه لا يختص بذلك وكنى بمنرج الدمع
بالدم عن كثرة البكاء والدمع ماء يصعد الى الدماغ فيسيل من مجرى
العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ويكون
بارداً للسرور وساخنًا للحزن فيكون حينئذ كالماء الشديد الحرارة اذا
فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين فإذا أعظممت الحرارة قلت الرطوبة

فيخرج مع الدمع دم لانه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء وسريانه في سائر
العروق فاذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب
الدمع والجري السيلان بشدة ولذلك عبر الناطم بجري دون سال والمقلة
شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدة التي هي السواد
الذي في وسط العين وتلك الحدة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت
العين كالمرآة اذا استقبلها شخص رأى صورته فيها وأفرد الناطم المقلة
لان العرب قد يطلقونها ونظائرهما مفردة ويريدون بها المثني كما قال بعضهم
بكت عيني وحق لها بكاهما * ويحتمل انه بنى أمره على الرجاء والخوف فاذا
نظر بمقلة الخوف بكى واذا انظر بمقلة الرجاء سرت قال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقطن نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهي متعلقة بجري واعترض بان هذه
الجملة حشوا لا فائدة فيها لان الدمع لا يكون الا كذلك * واجيب بانها
ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من انه خرج
الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مراد في هذا الجواب نظر
لان هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والاظهر في الجواب انها تأكيد
والدم أحد الا مشاج الأربعة التي خلق منها الانسان والباء الداخلة
عليه للتعبية بالنظر لقوله مزجت وللصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد
تنازعه كل منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله
الكلام لولا هذا التقدير من انه خرج الدمع بعد انفصاله بدم اجنبي
والتنوين في قوله جيران ودمعا ومقلة ودم اما للتعظيم واما للتنوين * وفي
هذا البيت براعة استهلال لان فيه اشارة الى ان هذه القصيدة في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التي يقرب المدينة
الشريفة وفيه أيضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فانهما
مختلفان بزيادة العين ونقصانها

ام هبت الريح من تلقاء كاطمة * وأومض البرق في الظلماء من اضم

(قوله أم هبت الريح الخ) لما كانت الهمزة لا بد لها من معادل أتى المصنف بما يعادلها فقال أم هبت الريح الخ فأم متصلة وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح في تأويل المفرد أي أم هبوب الريح وكذا جملة أم مض البرق أي وإيماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وان لم يكن هنالك سابق لأن وجود السابق أمر أغلبي والافتقار لا يوجد كما في قولهم * تسمع بالمعدي خير من أن تراه * فإن الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابق على بعض الأقوال وروا العطف اما على حقيقة أنها كما هو المتبادر فيكون التريد بين الشيء والشئين أو بمعنى أو فيكون التريد بين ثلاثة أشياء على سبيل منع الخلق فإن كلام من تذكر الجيران وهبوب الريح من جهة كاطمة وإيماض البرق من اضم سبب للبكاء وموجب الإفراط فيه أما التذكر فلأنه يحصل به التحسر على ماضى من وصل الاحبة ومؤانستهم ولقد أحسن من قال

تذكرت أيامنا ولياليا * مضت فخرت من ذكرهن دموع

ألا هل لنا يومنا من الدهر أوبة * وهل لي إلى أرض الحبيب رجوع

وأما هبوب الريح من جهة كاطمة فلأن الحب دائماً يفكر في محاسن محبوبه فاذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها حملت روائحه اليه واما إيماض البرق من اضم فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق اذا لمع من جهة ديار الاحبة ليكون البرق مما يذكروا صفات المحبوبين للطائفة وأيضا الحب يتخيل عند لمعان البرق انه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي يهب بمقدار مخصوص في وقت مخصوص واذا أتت مفردة فالغالب أنها للعذاب واذا أتت مجموعة فالغالب أنها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لأن ريح العذاب واحدة وهي الدبور وعليها خزنة فعتت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فأهلكت عادا ولو خرجت من مقدار انف ثور لأهلكت الدنيا وأفردها الناظم هنا لأن الحب وان كان عذبا

لكنه مختلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكانظمة اسم موضع كما قاله
الجوهري وقال غيره اسم ماء والايماض اللعان الخفيف وان أطلقه
بعضهم عن التقيد بالخفيف والبرق عند أهل السنة أجنحة ملك يسوق
بها السحاب وقيل ضحكته فقد نقل الشافعي في الأم عن الثقة عن مجاهد أن
الرعدي ملك والبرق أجنحته • وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله
السحاب فنطقت أحسن النطق وضحكت أحسن الضحك فالرعد نطقها
والبرق ضحكها أي لعان النور من فيها • وأما قول بعض الشارحين أنه
صوت ملك يزجر السحاب إلى الجهة التي يريد الله تعالى ففيه نظر وأما
عند أهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اضطراب كالهواء بعضه مع بعض
ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة إلى البرودة وعكسه
والظلماء صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء أي ذات الظلمة
وأنما خص الليلة الظلماء بالذكر لان الضوء في الظلمة أجلى وقد اختلف
في الظلمة فقبيل أمر وجودي بضاد النور قائم بالهواء وقيل أمر عدمي
واضح بكسر الهمزة وفتح الصاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد يقرب
المدينة الشريفة • وفائدة هذين البيتين أنهما يكتبان في جام أي قزاز
ويحمان بماء المطر ويسقي المحصول للبهيمة التي صعب تعليمها وتذليلها
فإذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلمت بسرعة وإذا كان عندك عبد
أعجمي وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين في رق غزال
ثم علقه على عضده الأيمن فإنه يتكلم بالعربية في أسرع وقت

فائدة

فالعينيك ان قلت اكفهاهما • وما لقلبك ان قلت استغنى عنهم

(قوله فالعينيك الخ) لما سأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المسئول جواباً
لان من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أقول الأمر بل جرت عادتهم
بانكاره بالمرّة نزل الناظم المسئول منزلة المنكر وتجب من حاله على فرض
صديق في الانكار فقال فالعينيك الخ أي اذا صدقت في انكارك الحب
فأي شيء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك ان قلت لهما اكفهاهما أي

شيء ثبت لقلبك أو جب له انك ان قلت له استغنى بهم فالقاء للأفصاح
وجعلها بعضهم للعطف لكن الاول اظهر وما في الموضعين اسم استفهام
مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده وجملة قوله كففا في محل نصب مقول
القول وكذلك جملة قوله استغنى ومعنى الكففا أمسكا عن البكاء وهمتا
بمعنى سالتا مأخوذ من الهميان وهو السيلان فأصله هميتا فلبت ياؤه
ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنة مع
التاء التي أصلها السكون وان عرض تحركها المناسبة الالف * وفي كلامه
حذف التمييز المحوّل عن الفاعل أي همتا معا والأصل همي دمعهما
فحوّل الاسناد عن الدمع اليهما وأتى به تمييزا لكن حذفه الناظم والقلب
لحم صنوبري الشكل أي شكله على شكل الصنوبر لانه دقيق الأسفل
غليظ الأعلى كهيئة قمع السكر وقال بعضهم القلب سرّ وضعه الله في هذه
اللحمة فتسميتها قلبا لحلوله فيها والسين والتاء في استغنى زائدتان فعناه
أفنى مما أنت فيه وقوله بهم مضارع هام بهم إذا قام به الهيام وهو داء
كالجنون ينشأ من العشق وغيره وفي هذا البيت الطباق لانه جمع فيه
بين متقابلين في كل من الشطرين أما الشطر الاول فجمع فيه بين قوله
اكففا وقوله همتا وأما الشطر الثاني فجمع فيه بين قوله استغنى وقوله بهم

ايحسب الصب أن الحب منكم * ما بين منسجم منه ومضطرم

(قوله ايحسب الصب المح) لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت
وألزمه الإلزام المهيت رجع الى تغليظه في الانكار فقال ايحسب الصب
الح والهمزة للاستفهام الانكارى ويحسب بكسر السين وفتحها أي يظن
وكان مقتضى ما سبق أن يعبر المصنف بتاء الخطاب لكنه التفت الى
الغيبة لما جرت به عادة الادباء من تغيير كلامهم من أسلوب الى أسلوب
آخر تكلموا وخطابا وغيبة تنشيطا للسامع والصب العاشق من قولهم
صب الماء لانه لما كان كثير البكاء فكانه يصب الدمع وقال بعضهم من
الصبابة وهي رقة العشق وحرارته وجملة أن واسمها وخبرها سدت مسد

مفعول يحسب والحب عرفه بعضهم بأنه صفاء الحال بين المحب والمحبوب وقوله منكم أي مستتر وما اسم موصول بمعنى الذي في محل نصب على أنه بدل من الحب أو صفة له وصدر الصلة محذوف أي الحب الذي هو بين المح كذا قال بعض الشارحين وهو أظهر من جعل بعضهم ما زائدة وجعله بين طرفي القول منكم وكل من منسجم ومضطرم صفة لموصوف محذوف والتقدير بين دمع منسجم منه وقلب مضطرم والمنسجم السائل من قوهم انسجم الماء سال والمضطرم المشتعل من قوهم اضطرمت النار اشتعلت والمعنى لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين وحينئذ فانكار الحب غلط

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل * ولا ارقى لذكر البان والعلم

(قوله لولا الهوى المح) لما غلط المصنف المسؤول في انكاره الحب استدلل عليه بآلة فقال لولا الهوى المح والهوى مصدر هوى بكسر الواو إذا أحب فهو بمعنى الحب وهو مبتدأ والخبر محذوف أي موجود ولولا حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط فالمعنى امتنع عدم اراقتك دمعاً على طلل لوجود الهوى وقوله لم ترق دمعاً أي لم تصبه يقال أراق الماء أي صببه ويقال هراق أيضاً بمعناه وكان مقتضى قوله أيحسب المح أن يقول لم يرق بياء الغيبة لكنه التفت إلى الخطاب لما تقدم والطلل ما بقي من آثار الدار مرتفعاً فإن لم يكن مرتفعاً بان كان مائتصفاً بالارض كان رسماً وعلى الداخلة عليه للتعليل أي لاجل طلل هذا ان لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو المتبادر والا كانت بمعنى في وقوله ولا ارقى المح عطف على قوله لم ترق المح وأرقى بكسر الراء بمعنى سهرت والبان شجر طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان والعلم يطلق على معان منها الجبل والرمح أي ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بحمل المحبوب وعلى هذا فالبان والعلم باقيان على معناهما ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة

وحسن الهيئة وطول القامة وانما أورثه ذكركهما السهر لان النوم انما يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة الى الدماغ والمحبة تسكن حرارته فتنتفي عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام وتلك الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب والمحبة يلهمه حبسه عن أكله وشرابه فتنتفي رطوبته وتتضاعف حرارته لاسيما عند ذكر معاهد الاحباب أو ما هو شبيهه بالاحباب وفي هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وأرقت ولا اعارتك لوني عبرة وضني * ذكرى الخيام وذكري ساكني الخيم (قوله ولا اعارتك الخ) لما ذكر المصنف دليلين اردت بهما بدليل ثالث على ما في بعض النسخ الذي شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك في كثير من النسخ وهو معطوف على قوله لم ترق الخ ومعنى اعارتك أعطتك على سبيل العارية وقوله لوني عبرة وضني معمول لأعارتك وفاعله ذكرى الخ والمراد باللوئين هنا النوعان والعبرة بفتح العين الدموع والضني المرض فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كشوب بديع الرقة والصبيغ وذلك لون الضني وفي الكلام استعارة بالكناية وتخيل لانه شبه لوني العبرة والضني بلباسين بجامع الزينة في كل اما في المشبه به فظاهر وأما في المشبه فلأن آثار الحب زينة عند المحب فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيهاً مضمراً في النفس وطوى لفظ المشبه به ورض اليه بشئ من ملايماته وهو الاعارة وقوله ذكرى الخيام وذكري ساكني الخيم أي تذكري الخيام وتذكري ساكني الخيم فالذكرى فيهما بمعنى التذكرو كل من الخيام والخيم جمع خيمة وهي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر وحذفت النون من ساكنين للاضافة ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت * به عليك عدول الدمع والسقم

(قوله فكيف تنكر الخ) لما أقام المصنف على المسؤل الأدلة على حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الإنكار فقال فكيف تنكر

الح والفاء فلا فصاح لانها افصححت عن شرط محذوف والتقدير اذا قامت عليك الادلة فكيف تنكر الح وكيف حال مقدمة مضممة معنى الاستفهام على وجه الانكار ومعنى تنكر تجدد والحمد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله وقوله حبا معمولا لتسكرو بعد ظرف له وما يحتمل ان تكون مصدريه وهو الظاهر فالعمل بعد ما وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير في به عائد على الحب والتقدير على هذا بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل ان تكون اسم موصول بمعنى الذي وجملة شهدت صلة والضمير في به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذي شهدت به عليك الح وفي شهدت استعارة تصر بحجة تبعية لانه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو الماء الجاري من العين والسقم بفتحين المرض ويقال فيه سقم يضم فسكون لكن في غير النظم كقوله شيخ الاسلام واصافة عدول للدمع والسقم للبيان أو من اضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنين كما هنا كثير شائع واعترض هذا الجمع بان العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع واجيب بان محل قولهم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع اذا اعتبرت مصدرية وهنا قد اعتبر ما نقل اليه وانما ذكر كونهم عدولا للاشارة الى انه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم

واثبت الوجد خطي عبرة وضني * مثل البهار على خديك والغم

(قوله واثبت الوجد الح) أى وبعد ما اثبت الوجد الح فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران اشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب واسناد الاثبات الى الوجد مجاز عقلي من قبيل الاسناد الى السبب كما في قولك سرتنى رؤيتك وقوله خطي عبرة يفتح العين كما تقدم أى خطين من الدموع وقوله وضني عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف أى واثر ضني وقوله مثل البهار الح صفة

لكل من خطى العبرة ومن الضنى لـكن على اللف والنشر المشوش لأن
 الهيار يفتح الباء الموحدة ورد أصفر وأثر الضنى صفرة الوجه فأثر الضنى
 مثل الهيار في الصفرة والغم يفتح العين والنون شجر له اغصان حمرو قيل
 ورد أحمر والخطان من العبرة أحمران لا متراج الدمع بالدم فالخطان من
 العبرة مثل الغم في الحمرة وقوله على خديك متعلق بآثنت فتقدير البيت
 وآثنت الوجه على خديك خطى عبرة مثل الغم وآثر ضنى مثل الهيار
 والمعنى وكيف تنسكرحبا بعد ما آثنت الوجه على خديك علامتين
 ظاهرتين على الحب فكذلك من رأى يعرف الحب في وجهك وفائدة
 الايات الخمسة التي أولها في العينية أن الرجل اذا اتهم زوجته أو بنته
 أو عيلته كتب هذه الايات في ورقة من ورق الاترج ووضعها على يد
 المتهم اليسرى وهو نائم ويجعل اذنه على فيه فانه ينطق بجميع ما فعله
 في غيبته خيرا أو شرا وكذلك اذا سرق له شيء واتهم احدا أو شك في أحد
 فليكتب هذه الايات في جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع
 ويهرته في الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد في عنق المتهم فانه يقر
 في ساعته لدهشته

نعم سرى طيف من اهوى فأرقنى * والحب يعترض اللذات بالالم

(قوله نعم سرى الخ) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له
 سبيل الى الانكار أقروا واعترف بذلك حيث قال نعم الخ هكذا قال بعض
 الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التكلم وقال بعضهم لما
 انكشف كون المسئول محبا وكان هو المتكلم في المعنى رجع من التجريد الى
 التكلم واعترف بالحب حيث قال نعم الخ والاول اقرب ونعم حرف ايجاب
 لما سبق فمكنه قال صدقت أيها السائل فيما نسبته اليه من الحب
 وأن سبب خرج الدمع الجاري من المقلة بالدم تذكري المحبوبين كما هو الشق
 الاول من السؤال السابق فقال له السائل وما سبب تذكري لهم فقال
 سرى الخ وصدقة سرى محذوفة والتقدير سرى الى أي سار الى ليل لان

السرى هو السير لئلا وقوله طيف من أهوى أى خيال من أحب
فالطيف خيال المحبوب وأهوى مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب
بجلاف هوى بفتح الواو فانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال ان النفس
اذا ولعت بشئ حصلت صورته في القوة الخيلة فترى خياله في المنام كثيرا
وقوله فأرقنى أى أسهرنى لانه لما تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت
عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم وقوله والحب يعترض اللذات
بالالم أى يدفعها بالالم يقال اعترضه بالسهم اذا دفعه به فالالم هنا بمنزلة
السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل ان المراد ان الحب يجعل
الالم عرضة في اللذات فيصير الالم كالخشبة المعترضة في النهر ويحتمل أيضا
ان المعنى ان الحب يغيب اللذات بالالم فانه يقال عرض الشئ اذا غيبه
والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلى عن المحبوبين وبالالم
ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد * وحاصل المعنى انه صدقه فيما نسبته
اليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله سرى طيف
من أهوى وذكرانه أسهره بقوله فأرقنى وذكرانه بعد ان كان في لذة صهار
في ألم ولذلك قال والحب يعترض اللذات بالالم * ولبعضهم في هذا المعنى
وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقف من حولى به فرحا * وكاد يهتك سر الحب بي شغفا
وفائدة هذا البيت ان من كره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم
فانه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه ان شاء الله تعالى

بالاثنى في الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو انصفت لم تلم

(قوله بالاثنى الخ) لما اقر المسؤول بالحب لانه السائل فيه فرجع المسؤول على
السائل يوبخه في لومه عليه فيقال بالاثنى الخ وهذا كما ترى مبنى على بقاء
التجريد واما على ان المناظم رجع عن التجريد الى التكلم فيكون المصنف
قد استشعر لائم عليه لان المحب اذا اقر بالحب لائم عليه غيره فوبخه
المصنف على لومه عليه وقوله في الهوى العذرى بالذال المعجمة أى الهوى

المنسوب الى بنى عذرة بضم العين وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدى بهم
العشق الى الموت لصدقهم فى الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة
التشبيه فالمراد ان هواه مشبه لهوى بنى عذرة وقيل الهوى العذرى هو
الحب الذى من شأنه ان يقبل عذرا صاحبه عند كل أحد لكونه مفرطا
وقوله معذرة أى اعتذر معذرة او اقدم معذرة فهو بالنصب على انه
مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته بالرفع على انه مبتدأ خبره قوله منى
اليك أى صادرة منى اليك أو على انه خبر مبتدؤه محذوف والتقدير هذه
معذرة وتكون الاشارة راجعة لقوله سابقا سرى طيف الخ فالمعذرة
على هذا خصوص ذلك بخلافه على ما قبله فانه يحتمل ان تكون هى ذلك
وان تكون قوله الآتى لا سرى بمسئتر عن الوشاة ولادائى بمنحهم وان
تكون معذرة معروفة فى الخارج وهى ان يقول المحب للعاذل انى محب
والمحب لا يلام سببا من كان حبه عذريا وقوله ولو أنصفت لم تلم أى لان
الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام الا على الامر
الاختيارى كما قال القائل

وعيب الفتى فيما أتى باختياره * ولا عيب فيما كان خلقا مرسوبا
لكن كون الحب ليس اختياريا بل هو قهري بعد تحكمه والافيدؤه
اختيارى أولان اللوم على الهوى لا يكون الا من ذاقه والمخاطب لم يذقه
ولذلك قال بعض الصوفية لا ينبغي للشخص ان يتكلم على حال الا اذا
ذاقها والى هذا المعنى اشار ابن الفارض بقوله

دع عنك تعنيق وذوق طعم الهوى * واذا عشقت فبعد ذلك عنف
وفائدة هذا البيت وما بعده انك اذا رأيت منكر او لم تقدر على ازالته
فاكتبه مافى ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة
دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة فتقوى على ازالته باذن الله تعالى
واذا اردت ان تقهر نفسك على اقامة شعائر الدين فواظب على قراءتها
خلف كل صلاة

عدتك حالى لا سرى بمستر * عن الوشاة ولادائى بمخس

(قوله عدتك حالى الخ) لما أبدى له المَعذرة فى الهوى ووبخه فى اللوم عليه فيه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتك حالى الخ أى جاوزتك حالى كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالى وعلى هذا فالجملة دعائية ويحتمل أنها استفهامية بتقدير همزة الاستفهام وعليه فالمعنى أجازرتك حالى فلم تعذرني ويحتمل أيضا أنها خبرية وعليه فالمراد ألاخبار بأنه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبة حتى يعلم قدر ما هو فيه ولا يلومه ولو أصيب لعلم قدر ما هو فيه ولم يلمه * هذا كله ان فسر عدتك بمعنى جاوزتك كما تقرر فان فسر بمعنى تعدت اليك أى وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لاله أو الاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه أو وصلت اليك حالى حتى تلومنى وقوله لا سرى بمستر عن الوشاة مستأنف استئنا فإبنا لانه واقع فى جواب سؤال مقدر فكان اللائم قال له وما حالك التى استعظمتها فأجابه بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع واش وهو الذى يشي الحديث بين المحب والمحبوب أى يزينه ويزخره لاجل الفساد بينهما ومن المعلوم ان الوشاة أعداؤه فاطلاهم على سره يسيئه وقوله ولادائى بمخس أى ولادائى الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شأن المحب فانه اذا اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآتته انقطع دأؤه لكن هذا أمر أغلبي والأفهنالك من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته

محضتى النصيح لكن لست اسمعه * ان المحب عن العذال فى صم

(قوله محضتى النصيح الخ) لما لم يقدمه الاستعطف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بأنه أخلص له فى النصيح من باب التسليم الجدلى ليستريح منه فقال محضتى النصيح الخ أى أخلصت لى النصيح عن الاغراض كالالتفات الى المحبوب فاذا كان اللائم له التفتات الى المحبوب لم يخلص النصيح عن الاغراض بل له فيه غرض وهو اختصه به بالمحسوب بخلاف ما اذا كان

ليس له التفات الى المحبوب فانه قد اخلص النصح وما هنا من هذا
القبيل على التسليم الجدلي وقوله لكن لست اسمعه استدرأه على قوله
محضتي النصح والمنفي انما هو سماع القبول والافقد لسمعه بل قد يلهذه
وقوله ان الحب المحب الخ تعليل لقوله لكن لست اسمعه فانه قال انما لم اسمعه
لان الحب المحب الخ وفي الحديث حبك للشيء يعنى ويصم أى يعميك عن رؤية
عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذل على تقدير مضاف أى عن
نصحهم والعذل جمع عاذل وهو الالتم في الحب وقوله في صمم لا يخفى ما فيه
من المبالغة لانه بالغ في الصمم حتى كانه محيط بالحب وجعله طرفا له
والصمم ضعف في قوة السمع فوق الوقور ودون الطرش ودون الصنج أيضا
كما علم بالاولى ولذلك قال الثعالبي يقال في أذنه وقر فان زاده فهو صمم فان
زاده فهو طرش فان زاده حتى لا يسمع الرعد فهو صنج وانما خص المصنف
الصمم بالذ كر دون غيره وان كان كل من الطرش والصنج اعلى منه لانه هو
الذى تستقيم عليه القافية

انى اتهمت نصيح الشيب في عذل * والشيب أبعد في نصح عن التهم

(قوله انى اتهمت الخ) لما اعترف له على طريق التسليم الجدلي بانه محضه
النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه في عذله فكان السائل قال له كيف تهمنى
في العذل فقال له انى اتهمت الخ أى فاذا اتهمت نصيح الشيب في عذله
على فى الهوى والخال ان الشيب أبعد عن التهم فى النصح فكيف بالعاذل
الذى ليس أبعد عن التهم فى النصح بل من شأنه ان يتهم فيه والاضافة
فى قوله نصيح الشيب للبيان أى نصيحا هو الشيب أو من اضافة الصفة
للموصوف أى شيبا ناصحا وانما كان الشيب ناصحا لانه يدل على قرب
الاجل وحصول الموت الموجب لتردد واعى الشباب واشتغال العبد
بما يقربه لمولاه زانق وانما دل على ذلك لانه ليس بعد بياض الزرع
الاحصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد قيل فى قوله تعالى وجاءكم النذير
انه الشيب وقوله فى عذل متعلق باتهمت أى اتهمته فى لومه على فى الهوى

فأخرج

ودواعي الشيباب وهو بفتح المذال المججمة لغة في العذل بسكونها وقوله والشيب أبعد في نصيح عن التهم أي والحال ان الشيب أبعد عن التهم في النصيح فالواو للحال وفائدة هذين البيتين انك اذا احببت شخصا في الحلال وتبغى منه ومن الناس ان تكلمه فاكتمهما في ساعة الزهرة في صحفة من نحاس واح تلك الصحفة بماء المطر واشربها فانك تقوى على المحبوب وتجتنب معبه ولا تختشى من أحد أبدا وتغشى اليه سررك وتبلغ منه مقصودك ان شاء الله تعالى

فان امارتي بالسوء ما اعطت * من جهالها بنذير الشيب والهرم

(قوله فان امارتي الخ) هذا تعليل للبيت قبله فكانه قال انما اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم اقبل نصيحة لان امارتي الخ واستشكيل قوله امارتي بان فيه اتحاد الامر والمأمور لان نفس الشخص هي هو واجيب بجوابين أحدهما ان النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة أمر وباعتبار تعلقها بالصواب مأمور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما ان الامر النفس والمأمور البدن فالنفس مستولية بسلاطنها على البدن فتصرفه في شهواتها والامارة من أنواع النفس وهي التي تأمر بالمخالفة فلا يلوح لها طمع الافعلته ولا برزت لها شهوة الاقضية فلما تسلك سبيل الرشاد ولم تضئ بنور السداد وقد ذكرها الله في قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء ومنها اللوامة وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء ومنها المطمئنة وهي التي اطمأنت للايمان وللتصديق بوعد الله فهي دائما موفقة لطاعة مصدقة بلقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة الآية وقوله بالسوء متعلق بامارتي والسوء القبيح وقوله ما اعطت خبر ان أي ما قبلت الوعد وقوله من جهالها أي من أجل جهالها فهو تعليل لقوله ما اعطت وانما يرجع نفسه على عدم الاعتاط بسبب جهالها لانه قادر على دفع الجهل بتحصيل اسباب العلم وقوله بنذير متعلق باعطت أو بجهالها

ونذير اما بمعنى الانذار فيكون مصدرا وعلى هذا فالاضافة في قوله نذير
الشيب والهزم من اضافة المصدر لفاعله أو بمعنى المنذر فيكون اسم
فاعل وعلى هذا فالاضافة في قوله نذير الشيب والهزم من اضافة الصفة
للموصوف أو لبيان وكان عليه ان يقول بنذيرى الشيب والهزم الا ان
يقال الاضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو انه حذف من الثانى
لدلالة الاقل والاصل بنذير الشيب ونذير الهزم وهذا البيت والاثنان
بعده خاصيتهما ان من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من
التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الايات الثلاثة يوم الجمعة بعد
الفرغ من صلاتها ويحوها بماء الورد ويشر بها فاذا شر بها استمر جالسا
مستقبلا القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه
الايات في بعض الاوقات أيضا فانه لا يفارق هذا المجلس الا وقد تأدبت
نفسه وحسن حالها ان شاء الله تعالى ويوفقه الله للتوبة

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى * ضيف الم برأسى غير محتمس

(قوله ولا اعدت الخ) عطف على قوله ما اعطت من قبيل عطف
الخاص على العام لان الاتعاطي يكون بالانسان بالاهمال الحسنه
والاجتناب عن الاعمال القبيحة وأما اعداد القرى فلا يكون الا بالاول
فقط والاعداد التهيئة يقال اعد واستعد بمعنى هيأ وقوله من الفعل الجميل
أى من الاعمال الصالحة وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف مشوب
بتبعيض وقرى الضيف بكسر القاف اكرامه وفيه استعارة مصرحة
مرشحة لانه شبه الشيب بالضيف بجامع الطروق في كل فان سواد الشعر
كان ملازما للانسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف في طروقه على
الشخص بعد ان لم يكن واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكرا القرى ترشحا
للاستعارة ولما كان الشيب نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالبا
للاعمال الصالحة التى هي زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراءه تهريجا
أو تلو مجا وقوله الم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله برأسى أى فى رأسى فالبناء

بمعنى في وقوله غير محتشم أى غير مستحي وهو حال من الضمير الفاعل بالتم
وانما كان غير محتشم لان من آداب الضيف ان لا يكثرا لاقامة عند من
أضافه فن اكثرها عنده كان غير محتشم والشيب اذا نزل لا يرتحل
الا بالموت فهو غير محتشم فعلى العاقل ان يستعد بالاهمال الصالحة
لضميافته فان آخر الاستعداد الى نزوله فقد لا يتمكن من شئ من الاعمال
لسرعة الرحيل وضيق الوقت

لو كنت اعلم انى ما أوقره * كتمت سراي الى منه بالكتم

(قوله لو كنت اعلم الخ) لما بين ان نصيح الشيب لا ينبغي ان يهمل واعتذر
عن عدم قبوله بالنفس الامارة ورأى من سوء العتاب وتقيج الفعال من
الناس ما لم يكن رآه قال لو كنت اعلم الخ والعلم والمعرفة بمعنى واحد على
الصحيح وقوله انى ما أوقره أى انى ما اعظمه بفعل الجميل وترك القبيح
استحياء منه وقوله كتمت سراي اخفيته والمراد بالسراي الشيب الذى
يظهر اولا وانما سمي سراي لانه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذى
لم يظهر وقوله بدالى أى ظهر لى وقوله منه أى من الشيب وقوله بالكتم
متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء ثبت يتخاط بالحناء ويخضب به الشعر فبقى
لونه كفى القماموس وقد قيل شيطان عجيبان هما أبرد من يخ شخ يتصابى
وصبى يتمشخ ويخ اسم لبرشديدة البرودة كذا نقل عن بعض الاشياخ
وقال بعض أهل العلم هو اسم لدود يكون فى الشلج الذى هو شديد البرودة
وذلك الدود اشده برودة من الشلج وانما قيد بقوله لى لانه اذا نزل الشيب
بالشخص ظهر له أولا فى الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ويحتمل انه من
البيان بعد الاجمال على حدرب اشرح لى صدرى ويسرى امرى وفى هذا
الميت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقدرى ان
أول من رأى الشيب ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال
ما هذا يا رب فقال الله تعالى وقار يا ابراهيم فقال يا رب زدنى وقارا فاصبح
وقد عمه الشيب وفى الحديث القدسى الشيب نورى

من لى بردجها من غوايتها * كما يرد جها الخيل بالجم

(قوله من لى الخ) لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عن يتكفل له بردجها بالمواعظ البنية والاسرار الربانية فقال من لى الخ أى من يتكفل لى الخ وقوله بردجها من غوايتها أى بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالها فالجها بمعنى القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالها والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجها أى جها ناشئ من غوايتها وقوله كما يرد جها الخيل بالجم أى رد أمثل رد جها الخيل بالجم فى القوة والعنف حيث لم ينفع واعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل ومما صدرية والجم جمع لجام ككتب جمع كتاب وفى هذا البيت إشارة الى ان السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لان النفس ربما تستحسن أمرا فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر وفائدة هذا البيت والاثنين بعده ان من اكثر تلاوتها عند شروعه فى ازالة منكرو مفتحا بتلاوتها عشر مرات فانه يرى الهبة والقبول بالكمال باذن الله تعالى

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها * ان الطعام يقوى شهوة النهم

(قوله فلا ترم بالمعاصى الخ) لما استفهم عن بردجها نفسه رد اغنيها استشعر شخصا قال له لا حاجة الى رد هالانك اذا أعطينها ما تتمناه من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم بالمعاصى الخ أى لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصى دفع شهوتها لانها اذا ألقت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله ان الطعام يقوى شهوة النهم أى ان الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو تشديد الشهوة الى الطعام فتمكينه منه يزيد فى شهوته اليه وكذلك النفس تمكينها من المعاصى يزيد فى شهوتها اليها واعترض بان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذا لم يشبع منه وأما اذا شبع منه فقد أخذ حاجته واجيب بان المعدة تنفتح ابدالماباقى فيها من الطعام

الامناع وقوتها الجاذبة لا تزال وان امتلأت لاسيما معدة النهم

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفضمه ينظم
(قوله والنفس كالطفل الخ) شبه النفس بالطفل في عدم الملل والسامة
بالاستمرار على المألوفات فكما ان الطفل ان تركته على ما ألفه من الرضاع
دام على حبه وان منعه غنة امتنع كما ذكره بقوله ان تهمله الخ كذلك
النفس ان تركتها على ما ألفته من المعاصي دامت على حبه وان منعتها
عنه امتنعت وقوله ان تهمله أى تتركه على ما ألفه من الرضاع وقوله شب
على حب الرضاع أى كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع وقوله وان
تفضمه ينظم أى وان تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه
وصار غير طالبا له قال فى المصباح فطمت المرأة الرضيع فطما من
باب ضرب فصلته عن الرضاع فهى فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم
بضمين مثل يريد ويرداه وعلم من ذلك ان تفضمه بكسر الطاء واعلم ان
النفس لطيفة ربانية وهى الروح قبل تعلقها بالاجساد وقد خلق الله
الارواح قبل الاجساد بألفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه
فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الحق ان تتعلق بالاجساد
عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فذلك
احتاجت الى مذكر قال تعالى وذكركم الذين كنتم تؤمنون فهى قبل
تعلقها بالاجساد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما
اعتبارى والطفل بكسر الطاء المهملة الصغير ذكرا كان أو أنثى

فاصرف هواها وحاذر ان توليه * ان الهوى ما تولى يصم أو يصم

(قوله فاصرف هواها الخ) أى اذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالغناء فناء
الفصيحة وانما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر
لانه نظر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه ابدا فلا يمكن صرفها عن هواها
وانما الممكن صرف هواها بمعنى عدم اتباعه فهى لا تخلو عن هوى ابدا لكن
الشخص لا يتبعه وقوله وحاذر ان توليه أى واحذر ان تعطى هواها الولاية

والامارة عليك لانه داع الى الضلالة غير صالح للامارة وانما عبر المصنف
بجاذرون احذر تنبيهها على ان النفس تراقب غفلة الشخص لتقع في
هواها فهي تحاذره كما يحاذرها فالحاذرة من الجانبين وقد علم ذلك بقوله
ان الهوى الخ فهو في قوة قوله لانه جائز ظالم وقوله ماتولى ضبطه شيخ
الاسلام بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على انه مبني للمفعول
والشائع على الالسننة قراءة بفتحات على انه مبني للفاعل وكل صحيح
فالمعنى على الاول ما ولده الشخص وعلى الثاني ما صار واليا وما شرطية
وقوله يصم بضم الياء وسكون الصاد من اصبمت الصيد اذا رميته فقتلته
وقوله او يصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه اذا عابه فالمعنى ان
الهوى ان ولده الشخص يقتله او يعبه وفي هذا الكلام استعارة بالكناية
وتخييل لانه شبهه هوى النفس بانسان طالب للولاية والامارة تشبهها
مضمير في النفس وطوى لفظ المشبهة به ورض اليه بشئ من لوازمه وهو
منعه من الولاية والامارة حيث قال فاصرف هواها وحاذران تولينه
ورشحها بذكرانه جائز ظالم لانه ان تولى قتل او عاب حيث قال ان الهوى
ماتولى يصم او يصم فهي مرشحة لانها قرنت بما يلائم المستعار منه ولما
كان الهوى سببا للهلاك اجمع على ذمه العارفون ووردت بزمه الآيات
والاحاديث لانه ينتج من الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال فسادها
ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا وقال ابن عباس الهوى
اليعبد من دون الله وتلا قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه الآية
وقال الشعبي انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار وبالجملة فالهوى
أصل كل بلية والخلاص منه عسر جدا لا يتوفيق من الله تعالى

وراعها وهي في الاعمال سائمة * وان هي استحلقت المرعى فلا تسم

(قوله وراعها وهي الخ) لما كان ظاهر كلامه ان هوى النفس يصرف
حتى عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهي الخ أى لاحظها والحال
انها في الاعمال الصالحة سائمة كالبهيمة السائمة في الكلاء فالواو للحال

وأل في الاعمال للعهد والمعهود الالهال الصالحة اعم من ان تكون واجبة
أو مندوبة وفي سائمة استعارة تصريحية تبعية لانه شبه أخذ النفس
في الاعمال واشتغالها بها بسوم البهيمية في السكالا بجامع عدم معرفة الصلاح
في كل واستعار السوم للاخذ والاشتغال واشتق منه سائمة بمعنى
أخذه ومشتغلة وإنما أمر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لانه قد
يكون لها حفظ فيها كرباء وحب محمدة وشهرة ولذلك قال وان هي استحلت
المرعى فلا تسم بضم التاء وكسر السين أي وان هي وجدت المرعى حلوا
فلا تتبعها فيه لانها لا تميل الى الطاعة لذاتها بل لغرض فيها تنقلب الطاعة
معصية بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول
صاحب الحكم **رب معصية أورت ذلا وانكسار أخير من طاعة أورت**
عزا واستكبارا وفي بعض الآثار أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود
قل للعاصيين الخبتين ابشروا وقل للعابدين المعجبين اخسؤا ومن المعلوم ان
اداة الشرط وهي ان هذا من خواص الفعل فقوله وان هي أصيلة وان
استحلت حذف الفعل فان فصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل
المحذوف على حذف قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك وفي قوله
فلا تسم استعارة بالكناية وتخيل لانه شبه النفس بالبهيمية بجامع عدم
معرفة الصلاح في كل تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به وذكر
المرعى ترشيح ورخص اليه بشئ من لوازمه وهو الاسامة

كم حسنت لذة للمرء قاتلة * من حيث لم يدرك السم في الدسم

(قوله كم حسنت الخ) هذا البيت استشهد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى
كثيرا وميزها محذوف والتقدير كم مرة أي كثيرا من المرات وقوله حسنت
لذة للمرء قاتلة أي عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان أو امرأة
فلذة مفعول حسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع أولى من جعل لذة
تميز لكم وجعل مفعول حسنت محذوفا وان جرى عليه بعض الشارحين
وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدرك السم في الدسم أي

من جهة وتلك الجهة هي كونه لم يعلم ان السم بتثليث أوله ممدسوس في
الدم الذي هو الدهن وخص السم بالذكر لانه قاتل وخص الدم
بالذكر لانه يعمل الاشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس
والمراد بالدم هنا الطاعة ففي كلامه استعارتان مصرحتان اما الاولى
فلانه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضر في كل واستعار اسم المشبه به
للمشبه واما الثانية فلانه شبه صورة الطاعة بالدم بجامع ان كلا سائر
لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه والحاصل ان النفس لها حظ في
الطاعة كما ان لها حظا في المعصية بل حظها في الطاعة أشد لان حظها
في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي وفائدة هذه الايات
الثلاثة التي أوقها فاصرف هواها الخ أن من واطب على قراءتها خلف كل
صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله
آمنا من الاهواء والبدع

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * قرب مخمصة شر من التخم
(قوله واخش الدسائس الخ) أي خف المكائد التي تتقها النفس في
الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالخدة وسوء الخلق والدسائس
من الشبع كالسكر من العبادة والكلام في الجوع والشبع المفرطين
لان المذموم منهما ليس الا المفرط واما المعتدل الذي بين الافراط
والتفريط فمدوح كما يشير لذلك قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا
على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويحتمل ان المصنف كنى بالجوع
عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لان قلة العبادة تؤول الى الجوع في
الآخرة وكثرة العبادة تؤول الى الشبع في الآخرة فالدسائس من الجوع
بمعنى قلة العبادة كالليل الى الراحة وترك العبادة بالكلية والدسائس
من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمجدة وهو مفسدة عظيمة
لانه حينئذ يكون قاصدا بالعبادة غير وجهه الله تعالى ولما كان قد يقع
في بادئ الرأي ان الجوع لا دسائس فيه لان العرب والحكماء تمدح بقلة

الاكل وتندم بكثرة وحينئذ فلا وجه للتحذير من مكائد الجوع دفع المصنف ذلك بقوله فرب مخصصة شر من التخم فكأنه قال لا تستبعد ذلك اذرب جماعة مفطرة شر من كثرة الاكل باعتبار الآفات المترتبة عليهما فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الاكل وان كان فيها كسل ولا شك ان ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على ان المراد بالجوع والشبع حقيقةهما وأما على ان المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكأنه قال لا تستبعد ذلك اذرب عمل قليل شر من عمل كثير فان النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لان الكثير يضرب البدن فيؤدي الى العجز بالكلية وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك ان تجدد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها بل قد ينصلح باطنه في آخره أمره وقد كان بعض المشايخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك ان تنصلح بواطنكم وحكي ان رجلا تعبد سبعين ليلته شهريه بذلك وتودع عنده الامانات فينتفع بها فلم يودع عنده شيء فلما طال عليه الامر وبخ نفسه وتاب الى الله تعالى فلما أصبح أتى بامانة فقال لصاحبه اما كان بيننا وبينها الاطلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتقيل والمخصة الجماعة والتغم بضم التاء وفتح الحاء جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام وقيل فساد الطعام في المعدة وفسرت أيضا بانها ضدت المخصة وهذا قد يقتضيه كلام المصنف وتعقب بان ضدت المخصة الشبع وان لم يحصل تخمة وهذا البيت والذي بعده خاصيته ما ان من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكرهها اليمة الجمعية عند السحر فانه لا يصبح الا وقد رأى رقة في قلبه وكسرا في نفسه ونهوض اعضائه في العبادة وتندم على ما فرط وتاب الله عليه

فائدة

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت * من المحارم والزم حمية الندم

(قوله واستفرغ الدمع الخ) أى افرغ الدمع بالبكاء أو اطلب فراغه بذلك فالسبين والتماء اما زائدتان وهو الاظهر أو للطلب وقوله من عين قد امتلأت من المحارم من الاولى ابتدائية والثانية تبعية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية وأهل الحب رؤية الاغيار بها ولذلك يقال للعارف أدب عينيك بدمع الندامة اذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الكبير المتعال ولم يزل السلف الصالح يسكون على ما حصل منهم والبكاء على الخيبة معظم العزم حتى قال بعضهم لو لم يبك الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاه وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل فى قوله تعالى فيهما عيان تجريان انهما لمن له فى الدنيا عيان تجريان وقوله والزم حمية الندم أى والزم حماية الندم لك عن المحارم ويحتمل والزم الندم الحامى لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية وانما عبر بالندم لانه العمدة فى التوبة ولذلك ورد الندم توبة

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصيح فاتهم (قوله وخالف النفس والشيطان الخ) أى اذا حركت نفسك والشيطان بشئ أو نهت نفسك والشيطان عن شئ فخالفهما لانهما عدوك وقوله واعصهما اشار به الى انه لا يكفي مجرد مخالفتهما لانه قد يخالفهما الى ما يرضيان به بل لابد من عصيانهما وان خصت المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير وان أبقيت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وانما قدم المصنف النفس على الشيطان لانها اضر منه وقتنتها أعظم من قتنته اذ هي عدو فى صورة صديق والانسان لا يتنبه لمكايد الصديق وأيضا هي عدو من داخل بخلاف الشيطان فانه عدو ظاهر

وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لأنها أعظم حجاب بين
الشخص وبين الله تعالى وقد سئل بعض الأشياخ عن الاسلام فقال ذبح
النفوس بسيف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة
النفس والهوى وبالجملة فمخالفة النفس رأس العبادة وأول مراتب
السعادة وانظر فعل الشيطان مع أبيك وقد أقسم أنه له لمن الناصحين
فكيف بك وقد أقسم أنه ليغوينك وقوله وان هما محضان النصح فاتهم
أى وان هما أخلصاك النصح فيما أبدياه لك كأن يقول لك تمتع بهذه
الشهوة لكي تتوجه الى الطاعة فارغ القلب أو يقول لك ارفق على نفسك
فى العبادة لتدوم عليها أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى أو نحو
ذلك فاتهم ما بان تنسبهما الى الخيانة لان مرادهما بذلك الخديعة
والمكر وقد تقدم ان أداة الشرط وهى هنا ان من خواص الفعل فقوله
وان هما أصله وان محضا حذف الفعل فان فصل الضمير والفعل المذكور
تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك وعبر
المصنف بان التى للشك اشارة الى ان اخلاصهما النصح أمر مشكوك
فيه بل لا يفرض الا كما يفرض الحال ان لا يصدر منهما الا الغش ولذا
قيل ان الشيطان يفتح للانسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه فى باب
من الشر وخاصة هذا البيت والذي بعده ان من واظب عليهما ما غلب
نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما ان شاء الله تعالى

فائدة

ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فانت تعرف كيد الخصم والحكم

(قوله ولا تطع منهما خصما ولا حكما) هذا البيت تأكيدي للبيت قبله ومعناه انه اذا
تخاصم العقل مع النفس وجعل الشيطان حكما أو تخاصم العقل مع
الشيطان وجعل النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان
لا الخصم ولا الحكم لان كلا منهما يدعوى الى الشر وأما العقل فيدعوى الى الخير
فاذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحكم مع خصم العقل لانه من ناحيته
فلا يحكم الا بما هو على مراده وقيل صورة كون أحدهما خصما والآخر

حكمان أحدهما يزين لك الاقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصيما لك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك اجلا بعد أجل كما يفعله الحكام فقد صار حكما في ذلك ومما تقرر علم ان الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما ما للتبعيض والضمير فيه عائد للنفس والشيطان ولا في قوله ولا حكما زائدة لتأكيدهم النهي وقوله فأنت تعرف كيدا لخصم والحكم أى لا نك تعرف كيدا لخصم والحكم من الناس وكيدا للنفس والشيطان أشد

استغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسبت به نسلا لذي عقم

(قوله استغفر الله الخ) لما كان المصنف معترفا بأنه غير عامل بقوله وقد قال تعالى كبير مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون استغفر من ذلك حيث قال استغفر الله الخ والمقصود من قوله استغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كاهنا ويجوز حذف من نحو استغفر الله ذنبا أى من ذنب وقوله من قول بلا عمل أى من قول مضروب بعدم العمل أو متلبس بعدم العمل فالبراءة للابسة أو المصاحبة ومن للتعدية أو للتعليل وذلك كأن يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينهى وظاهر كلام المصنف ان الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بان المتبادر من الامر والنهي ان يكون الشخص مؤتمرا بما أمر به ومنهيا عما نهى عنه فان لم يكن كذلك في الواقع كان أمره ونهييه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه وبعضهم جعل الاستغفار من نصبه على القيد فقط اعنى عدم العمل لان القول في ذاته طاعة فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة من انه لا يتوقف الامر والنهي على العمل بهما لان عدم الامر والنهي معصية وعدم العمل معصية اخرى وتقايل المعاصي مطلوب ما امكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الانكار على الجلاس ويجب على الزاني باجراة

ان يا امرها بستر وجهها ومن هذا يعلم ان العالم الذي لا يعمل بعلمه خير من
الجاهل واما قول صاحب الزيد * وعالم بعلمه لم يعمل * معذب من قبل عباد
الوثن * فحمول على علماء أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتبوا الحق وقيل
ان تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه اسوأ حالا منهم بل للاسراع
بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لذي عقم مستأنف استئنافا بيانيا
لانه واقع في جواب سؤال مقدر فكانه قيل له لم استغفرت من ذلك القول
فقال لقد نسبت به نسلا لذي عقم أي لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو
الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة في العقم بسكونها
وليس جمع عقيم لان اضافة ذي اليه تمنع من ذلك لا يقال ان المصنف
لم يقع منه نسبة نسل لذي عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لانا
نقول المعنى على التشبيه أي كاني قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك أن
المبادر من الامر والنهي ان يكون الامر والنهاي مؤتمرا منتهيا فذلك
القول يتضمن نسبة العمل الى القائل فاذا كان بلا عمل فقد اشبهه نسبة
النسل لذي العقم وهو الذي لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا
ما اشبهه وهذا يؤيد ان الاستغفار من القول المذكور وفي ذكر فضل
الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود وما أحسن قول القائل
ولو ان فرعون لما طغى * وقال على الله افك وزورا
أناب الى الله مستغفرا * لما وجد الله الاعفورا

أمرتك الخير لكن ما أئتمرت به * وما استقميت فاقولي لك استقم

(قوله أمرتك الخير الخ) هذا البيت بيان للبيت قبله وأمرية تعدى
لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة أخرى كما في قولك أمرت
زيدا بكذا والمراده بالامر ما يشمل النهي كما في قولهم أمر السلطان ان
لا يؤذى أحد أحد أو أن يجامل في المعاملة فاندفع ما يقال لم يخص الامر
بالذكر مع انه سبق منه أمر ونهي والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيته عن
تركه والخير ماله عاقبة محمودة وقوله لكن ما أئتمرت به أي لكن ما عملت

به وقوله وما استقم أي بفعل المأمورات وترك المنهيات لان الاستقامة هي الاعتدال وعدم الاوجاج وذلك يكون بفعل المأمورات وترك المنهيات وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها في سورة هود واخوانها قال تعالى فاستقم كما أمرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتي هود واخوانها وقيل قال ذلك لما فيها من الاخبار عن اهلاك الامم الماضية وقوله فما قولي لك استقم أي فاثمرة قولي لك استقم حيث لم استقم والاستقاهم انكارى بمعنى النقي أي لا ثمرة له ولا فائدة له لانه لا ينفع غالباً الا اذا استقام القائل ولذلك قيل في هذا المعنى

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى * كيما يصح به وانت سقيم
أبد أنفك فانها عن غيرها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتغى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تشبه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
فان قيل لم يتقدم منه أمر بالاستقامة حتى يظهر قوله فما قولي لك استقم
اجيب بأنه تقدم ضمناً لانه يعلم من كلامه السابق

ولا تزودت قبل الموت نافلة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم

(قوله ولا تزودت قبل الموت الخ) المراد بالتزود هنا العمل وانما عبر بالتزود نظر السكون الموت سفر طويلا محتويا على الاهوال والمشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذي عليه المحققون من المفسرين ان المراد بالتزود اخذ الزاد الذي هو ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى في هذه الآية ما يتق به ذل السؤال وقوله نافلة أي مستقلة فاندفع ما يقال ان الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع كونه كان بفعل الفرائض وقد اشتهر ان النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض لكن نقل القرطبي في التذكرة عن الشافعي رضي الله تعالى عنه ان ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا

واما ما نقص منها حمدا فلا يجبر بالنافلة وان كثرت جدا وقوله ولم اصل
سوى فرض ولم أصم انما خص الصلاة والصوم بالذكر لانها محض
عبادة بدنية وانما سكنت عن الايمان لانه لا يتنفل به وفي كلامه الحذف
من الثانى لدلالة الاول اى ولم أصم سوى فرض لا يقال يبعد أنه لم يقع منه
صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره لانا نقول
انما نفي ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة العدم لانها منه نفسه
فى الاخلاص فيه وما قبل من انه كان اذا صلى نافلة نذرها أو صام نفلا
نذره فهو بعيد وفائدة هذا البيت والذين قبله ان من دخله العجب
أو الرياء فى علم أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررهما احدى وسبعين مرة
ثم علق ذلك المكتتب على عضده الايسر مائلا لجهة جنبه فانه يتواضع
حينئذ ويصير آمنا من العجب والرياء

قائل

ظلمت سنة من أحبي الظلام الى * ان اشتكت قدماء الضر من ورم

(قوله ظلمت سنة من الخ) هذا تلخيص للشروع فى المقصود وهو مدحه
صلى الله عليه وسلم ولم يشرع فيه الا بعد الوعظ والاستغفار والندم تأهيلا
لمدح هذا الجناب الشريف ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التقريط
وأخبر بأنه لم يتردد من النافلة حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين أى جار
فيها ووضعها فى غير موضعها لان الظلم هو الجور ووضع الشئ فى غير
محلّه والسنة لغة الطريقة وشرع الطريقة المسلوكة فى الدين من غير
افتراض ولا وجوب ومن واقعة على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم قوله
أحبي الظلام أى أنا رايليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد
بأحيائه انارته بالصلاة اذ العبادة كما تؤثر النور فى وجه العابد تؤثره فى زمنها
ولا يخفى ان فى كلامه استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكنية فيكون
قد شبه الانارة بالأحياء بجامع النفع فى كل واستعار الأحياء للانارة
واشتق من الأحياء بمعنى الانارة أحبي بمعنى أنا أو شبه الظلام بمعنى
الليل المظلم بميت يحيى تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبهة ورمز

اليه بشئ من لوازمه وهو الاحياء وقوله الى ان اشتكت قدماه الضر من
ورم أى واستمر احياؤه صلى الله عليه وسلم للظلام الى ذلك فهو غاية
فى الاحياء لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكا القدمين كناية عن شدة
الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم ازدياد الحجم على
غير اقتضاء طبيعى وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب
المواد التى فى اعلى الجسم اليهما لطول القيام فانه صلى الله عليه وسلم
وان لم يكن يزيد بالليل على اثني عشر ركعة لكن كان يطيل القيام فيها
وقد روى المغيرة انه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقبل له
أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون
عبدا لشكورا وفى رواية انه قال جبريل أبى على نفسك فان لها عليك حقا
فانزل الله سبحانه وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وفى هذا البيت
خريد التقريع لنفسه فكأنه يقول لها ما بالاك فى هذا التقصير وعدم
الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار
هذه الصفة من بين الصفات وخاصة هذا البيت والاربعة بعده ان من
ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والعكس ولا زالت نفسه تمتد
راحة الدنيا فليكتب هذه الايات فى لوح ويجعله عند رأسه فيتزين له
حينئذ العمل الصالح وتحذنه نفسه بأمور الآخرة

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشها مترف الادم

(قوله وشد من سغب الخ) عطف على احيى الظلام الخ فهو عطف على
الصلة فيكون صلة وانما أتى بذلك نظرا لقوله فى البيت السابق ولم اصم
عقب قوله ولم اصل سوى فرض وبهذا ظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم
والشد العصب والربط والسغب بسين مهملة وغين معجمة الجوع ومن
الداخله عليه للتعليل أى عصب وربط من أجل جوع وقوله احشاءه
مفعول لشد والاحشاء جمع حشا وهو كفى الصحاح ما انضمت عليه
الضلع وقيل القلب وقيل الامعاء وفائدة هذا الشد انضمام الاحشاء

على المعدة فتخرج الحرارة بعض خمود لان المعدة اذا امتلأت بالطعام
اشتغلت الحرارة بهضمه واذا اخلت عن الطعام طالت الحرارة رطوبة
الجسم فيتألم الانسان فيها الشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم
عن انس قال جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا
مع أصحابه يحمدتهم وقد عصب بطنه بعصاة فقالوا من الجوع وقوله
وطوى تحت الحجارة كشحامترف الادم عطف أيضا على الصلة والطى
اللف والكشح الحاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة
والأدم الجلد أى ولف تحت الحجارة حاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة
وفائدة هذا الطى ان برودة الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخارى
الطى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم
يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله ان هاهنا كدية من الجبل قد عجزت
معا ولنا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به
ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الماعول ثم قال بسم الله فضرب
ثلاثا فصارت كشييا قال جابر فحانت منى التفانة فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا واستشك كل ماذ كمن الشد والطى
بقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمنى ويسقنى لان من هذا
حاله لا يعصب احشاءه ويطوى كشحه تحت الحجارة من الجوع واجيب
بان معنى الحديث ابيت مستحضرا جلال ربي فيعطىنى قوة الطعام
والشارب والمراد بذلك انه ضمن له قوة بدنه ونضارة جسمه حتى ان من
راه لا ينظر به جوعا ولا عطشا كما اشار الى ذلك الماظم بقوله مترف الادم
فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فصول الجوع له صلى الله عليه وسلم
لا ينافية الاطعام فى الحديث

ورأودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيا شمم

(قوله ورأودته الجبال الشم) لما كان قد يتوهم من قوله وشد من سغب الخ
انه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوهم بقوله ورأودته

الجبال الخ والمرادة المطالبة يقال راوده أى طلب منه ان يكون على مراده واسناد المرادة للجبال مجاز لان الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من ان يخلق الله فيها ادراكا وراوده حقيقة وأل فى الجبال للعهد الذهبى والمعهود ذهنا هو جبال مكة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولا يمكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فاذا شبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وروى ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة تكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع أشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى أن تكون من ذهب فهو خبر لم تكون المحذوفة وليس حالاً خلافاً لبعضهم لانهم لم تكن من ذهب حين المرادة وانما طلبت منه ان تكون كذلك وقوله عن نفسه أى من أجل نفسه فعن التعليل وقوله فأراها ايما شمم أى فأراها شممها أى شممها عظيماً أى اعراضاً شديداً علماً منه بان ما عند الله خير وأبقى

بلى جبال مكة
بها

واكدت زهده فيها ضروريته * ان الضرورة لا تعدو على العزم

(قوله واكدت زهده فيها الخ) التأكيد التقوية والزهد ترك الشئ وقلة الرغبة فيه والضمير المحرور بى راجع للجبال التى تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعاً للدنيا والاقل أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وان كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولا يخفى ان زهده مفعول مقدم وضروريته فاعل مؤخر وانما اكدت ضروريته زهده فيها لان الاعراض عن الشئ وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج اليه داليل جلي وبرهان قطعى على الزهد فى ذلك الشئ وقوله ان الضرورة الخ مستأنف استئنافاً بياناً

لكونه واقعا في جواب سؤال مقدر - فـ كانه قيل له كيف أو كد ضرورة
 زهده فيها مع ان الضرورة تقتضي الاقبال عليها وعدم الاعراض عنها
 فقال ان الضرورة الخ وقوله لا تدعو على العصم أي لا تتعدى عليها يقال
 عدى عليه أي تعدى عليه وفي كلامه حذف مضاف أي على ذوى العصم
 وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هذا ان قرئ العصم بكسر العين وفتح
 الصاد كما هو المشهور على انه جمع عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر
 الصاد كما استصوبه ابن حزم على ان أصله عصم بمعنى معصوم حذف
 ياءه للضرورة فلا حذف في كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من
 عصمه الله تعالى وضرورة غيره لان ضرورة من عصمه الله تعالى لا تدعوه الى
 أحسن الاشياء فضلا عن أخسها وضرورة غيره تدعوه الى أخس الاشياء
 حتى انها تبج له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان محرم الأصل كالميتة
 وفي كلام المصنف اشارة الى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو
 الحق خلافا لمن منعه معللا بان الزهد في الشيء فرع عن التعلى به لكن قد
 عيب على هذا البيت والذي بعده في اثبات الضرورة له صلى الله عليه
 وسلم مع انه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام أصل الحاجة فضلا عن
 الضرورة وما أحسن قوله في الهمزية

مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(قوله وكيف تدعو الخ) استفهام انكاري بمعنى النفي أي لا تدعو الخ والدعاء
 الطلب والميل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة في الأصل ثم
 نقلت الى الاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التي نحن فيها وقد تطلق على
 اعراضها وزخارفها من المال والجاه وما اشبههما وهذا هو المراد هنا
 وقوله ضرورة من أي ضرورة نبي أو رسول فن واقعة على نبي أو رسول
 وقد تقدم الكلام على الضرورة وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم بيناء
 الفعل وهو تخرج للفعل أو للفاعل وان اقتصر بعضهم على الاقل أي لولا

وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد فوجوده
صلى الله عليه وسلم علة في وجودها فلو كانت ضرورية تدعو الى الدنيا
لكان وجوده معلولا لوجودها وهو خلف والاصل في ذلك ما رواه الحاكم
والبيهقي من قول الله تعالى لا دم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من
صورة الخطيئة وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله
محمد رسول الله سألتني بحقه ان اغفر لك وقد غفرت لك ولولا ما خلقتك
فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم و آدم
أبو البشر وقد خلق الله لهم ما في الارض وسخر لهم الشمس والقمر والليل
والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا وسخر لكم الشمس والقمر اثمين وسخر لكم الليل والنهار وإذا
كانت هذه الامور انما خلقت لاجل البشر وأبو البشر انما خلق لاجله
صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا انما خلقت لاجله فيكون صلى الله عليه
وسلم هو السبب في وجود كل شيء

محمد سيد الكونين والثقلين والقريتين من عرب ومن عجم

(قوله محمد الخ) أي الممدوح محمد الخ فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءة
بالرفع ويصح فيه النصب على انه مفعول لفعل محذوف أي امدح محمدا
ويجوز الجر على انه بدل من الموصول الذي في قوله وكيف تدعو الى
الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين أي اشرف أهل الكونين فهو
على تقدير مضاف والمراد بالكونين الدنيا والآخرة وقوله والثقلين أي
الانس والجن وانما سميا ثقلين لاثقالهم الارض أولثقلهما بالذنوب
والعطف في ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف في قوله
والقريتين ونسبته التصريح به في مقام المدح ونصف البيت الياء من
الثقلين فزيادة بعض الناس لفظ خير قبل القريتين خطأ وقوله من عرب
ومن عجم بيان للقريتين والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب
بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب

نبينا الامر الناهي فلا أحد * ابر في قول لامنه ولا نعم

(قوله نبينا الخ) يجرى في قوله نبينا أوجه الاعراب الثلاثة كما تقدم في محمد والاضافة في نبينا التشريف المضاف اليه وقوله الامر الناهي أي عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو في قوة ان يقول الرسول وقوله فلا أحد أمر منه في قول لا ولا نعم أي اذا أمر ونهى فلا أحد صدق منه في الامر والنهي وقد عبر عن النهي بقول لا وعن الامر بقول نعم ويحتمل انه كنى بلا عن الخبر المتني وينعم عن الخبر المثبت اماما مطلقا وعن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم اصدق الناس في الخبر ولا في قوله ولا نعم زائدة لتأكيد النبي وما ورد من انه لم يقل لا قط محمول على انه لم يقل لا في شيء سئل عنه من حوائج الدنيا بل ان كان عنده شيء أعطاه للسائل وان لم يكن عنده شيء سكت أو وعدوه بالغ بعضهم حتى قال

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعما

وهذا باعتبار الغالب والاف في صحيح البخاري ان الاشعرين جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يحملهم فقال والله لا احملكم الى آخر الحديث وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما الخاص من الوقوع في الشدائد فنواظب على قراءتهما خلص من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته * لكل هول من الاهوال مقتم

(قوله هو الحبيب الخ) الضمير راجع لمحمد اول نبينا والحبيب اما بمعنى محب فيكون اسم فاعل أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أو لأمته لانه أعظم محب لله وأفضل محبوب له وهو أيضا محب لأمته ومحبوب لها اذ من شرط كمال الايمان ان يكون أحب من المال والولد والنفس فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك أحب الي من مالي وولدي والناس أجمعين

دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكل ايمانك حتى اكون
 احب اليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه أنت
 احب الي من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كل اذا ايمانك
 وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال ببركته صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان
 كما منافي نفسه غير انه لحديثه لم يتنبه لذلك الا بعد أن نهيه صلى الله عليه
 وسلم وهذا هو اللائق بالادب لكنه بعيد جدا وقوله الذي ترحى شفاعته
 لكل هول من الاحوال مقتحم أي الذي تتوقع شفاعته وهي طلب الخير
 لا غير عند كل هول فاللام بمعنى عند والاهول هو الامر المخوف حال كون
 ذلك الهول بعض الاحوال المفردة موصوف ذلك الهول بانه مقتحم فيه أي
 واقع فيه الناس فهو من باب الحذف والا يصال فحذف الجار واتصل
 الضمير والاقتحام هو الوقوع في الشيء كرها يقال اقتحم زيدا الامر اذا وقع
 فيه كرها وانما عبر بالرجاء مع ان شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع بها
 اشارة الى انه لا ينبغي للشخص ان ينهك في المعاصي ويتكل على
 الشفاعته وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته في فصل القضاء
 حين يتمنى الناس الانصراف من الحشر ولوللنار لشدة الهول وهذه هي
 الشفاعاة العظمى وتسمى المقام المحمود لانه يحمد عليه الاقوالون والآخرون
 وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في
 دخول جماعة الجنة بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم
 وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم أيضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم
 في جماعة استحقوا النار ان لا يدخلوها بل يدخلون الجنة وكذلك هذه
 مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في جماعة
 دخلوا النار ان يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم بل
 تكون غيره أيضا من العلماء والاولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم
 في رفع درجات اناس في الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه
 وسلم لكن جوزه النووي ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف

العذاب عن بعض الكافرين كعبه أبي طالب على القول بان الله لم يجبه
فآمن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور والذي يجب أهل البيت يقول
بأن الله احياه وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شيء ولا ينافي
شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله
تعالى لا يخفف عنهم لان المنفى انما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافي انه
يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الا جوبة في ذلك

دعا الى الله فالمستمسكون به * مستمسكون بحبل غير منفصم

(قوله دعا الى الله الخ) أى دعا الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك
وهو الاسلام ففي كلام المصنف حذف مضاف والمفعول محذوف أى
عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم
وتعريفا لهم بما يكونوا يعرفونه لانهم اذا عرفوا من آدم عليه السلام
ما لم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا يعرفونه
بالطريق الاولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم
أى كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها والمراد من الحبل السبب كما هو أحد اطلاقيه والقصم
بالغاء القطع من غير ابانة بخلاف القصم بالقاف فانه القطع مع الابانة
ونفى الاضعف يستلزم نفي الاقوى فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير
منقصم وانما لم يقل فالجيبون له الخ وان كان هو المناسب للدعاء تنبيهها
على ان مجرد الاجابة بالقول ونحوه لا يكفي فى النجاة من المهالك بل لابد من
الاستمسك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه
بالحبل والترامه به وان قصر فى الاستمسك ولو لحظة هوى وفائدة هذا
البيت حفظ الايمان والامان من سلبه بان يقال بعد كل صلاة عشر
مرات مفتحة بالصلاة والسلام على النبي بصيغة مخصوصة وهى اللهم
صل وسلم على نبيك البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير

فاق النبيين فى خلق وفى خالق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(قوله فاق النبيين الخ) أى زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا على غيرهم بالطريق الأولى فى خلق بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفى خلق بضمهم ما وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة كالعلم والحياء والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وأمثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما تفرق فى غيره من تلك الخصال وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان أن يعتقد الإنسان أنه لم يجتمع فى أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم واعترض على الناطم بأن مقتضى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم فاق النبيين فى بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهم ما لأن كلامهم منكر وهو فى سياق الإثبات لا تنعم وهذا ليس بمدح تام لأنه يحتمل بعد ذلك أن يساويهم فى البعض الآخر ويحتمل أن يفوقه فيه وعلى هذا فإن كان ما فاقوه فيه مثل ما فاقهم فيه حصلت المعادلة وإن كان أكثر انعكس ما قصده المصنف من المدح واجيب بأن المراد فى خلقهم وفى خلقهم فهم مضافان فى المعنى فيعلمان على أن النكرة فى سياق الإثبات قد تنعم ولما لم يلزم من كونه فاقهم فى ذلك نفي مقاربتهم له نفاها بقوله ولم يدانوه أى لم يقاربوه وقوله فى علم ولا كرم أى ولا غيرهما وإنما اقتصر المصنف عليهم ما لأن العلم رأس الفضائل والكرم رأس الفواضل ولا يرد على ذلك ما ورد من النهى عن التفضيل بين الأنبياء كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الأنبياء لأنه محمول على تفضيل يؤدى إلى تنقيص وليس فى ذلك تنقيص لأحد من النبيين لانا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبي أكمل قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الأول محمد صلى الله عليه وسلم

وكلهم من رسول الله ملىس * غرقا من البحر اورشفا من المدي

(قوله وكلهم من رسول الله الخ) هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار والجارور متعلق بقوله ملىس والاضافة فى رسول الله للعهد والمعهود هو

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس أخذ وان كان
الالتماس معناه في الاصل الطلب وقوله غرفا من البحر ورشفا من الديم
أى حال كون بعض الملتسين مغترفا من البحر وبعضهم مرشفا من الديم
فهو إشارة الى اختلاف أحوال الملتسين فأولوا العزم مثلاً أكثر التماسا
من غيرهم فأوفى ذلك للتوزيع والتقسيم والغرف مصدر غرف بمعنى
أخذ والبحر ضد البر سمي بذلك لعمقه واتساعه والرشف المص والديم
جمع ديمة وهى المطر الدائم يوماً وليلاً من غير رعد والمراد من البحر والديم
هنا علمه وحله صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل
من الغرف والرشف ترشيح وانما عبر في جانب البحر بالغرف وفى جانب
الديم بالرشف لان الغرف مناسب للبحر لكثرة دون الديم لانها تجري
على وجه الارض فلا يجتمع منها ماء غاليا حتى يغترف

وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من مشكلة الحكم

(قوله وواقفون الخ) عطف على قوله ملتمس لكن نظري فى احدهما اللفظ
كل وفى الآخر لغناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم انهم ثابتون
عنده صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند الحد الذى حدتهم من ذلك
فلا يتجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية
مراتبهم فى العلم والحكم مبدأ أما أوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوق فهم
لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذى الغاية عند مبدأ غيره وقوله من نقطة
العلم أو من مشكلة الحكم بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والاضافة
فى الموضعين على معنى من أى الذى هو كنقطة من العلم أو مشكلة
من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين
وقيل المراد بهما علم الله وحكمه وحاصل المعنى على الاول انهم ثابتون لديه
صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة من علم
الرسول أو كالمشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى على
الثانى انهم ثابتون لديه فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة

من علم الله أو كالمشكلة من حكمه تعالى فعلهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا البالغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من الأقول لكن الأقرب الأقول وعلى كل فأول التنويع والتقسيم وإنما خص النقطة بالعلم والمشكلة بالحكم لأن النقطة تميز الحروف المشبهة الصور والعلم خاصته التمييز لانه صفة تقتضي تميزا لا يحتمل التقيض بوجه والمشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فائدة لها وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على اكمل وجه لئلا يحتمل النظام

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فهو الذي تم الخ) مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على الالف والنشر المشوش لان معناه يرجع للخلق بضمين وصورته ترجع للخلق بفتح الخاء وسكون اللام فان المراد من معناه كلالته الباطنية كما هو المراد من الخلق بضمين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم أى ثم اختاره حبيبا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهى الانسان وإنما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تذيها على انه تعالى خلقه على تلك الصورة ووقعه لتلك الاخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم ان ثم ليست للترتيب فى الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب فى الذكر والاخبار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بان يجعل على تقدير مضاف والاصل للترتيب فى ذكر الصفات

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهرا الحسن فيه غير منقسم

(قوله منزه الخ) أى وهو منزه الخ وقوله عن شريك أى عن كل شريك لانه نكرة فى سياق النفي معنى فان المعنى لا يوجد له شريك والنكرة فى سياق النفي ولو معنى نعم وقوله فى محاسنه أى صورة ومعنى وقد تنازعه كل من

منزه وشريك والمحاسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير
قياس واعترض على المصنف بان النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم
في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزه عن شريك في محاسنه
واجيب بان ما عندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة كما يدل عليه
ما ذكره سابقا في العلم والحكم وحينئذ فلا مشاركة وقوله فجوهر الحسن
الخ مفرع على قوله منزه عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته
وحقيقته وقوله فيه أي الكائن فيه وقوله غير منقسم أي بينه وبين غيره
لا اختصاصا به بخلاف يوسف فإنه أعطى شطرا الحسن وانما لم يفتن به
صلى الله عليه وسلم كما افتتن يوسف عليه السلام لان جماله صلى الله
عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن أحدا أن يتأمل فيه حتى يفتن به

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحافيه واحكم

(قوله دع ما ادعته النصارى الخ) هذا البيت احتراز عما يوهمه قوله
منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الاله فدفع ذلك بهذا البيت
وفيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى
المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم
قولهم بأنه اله لانهم يقولون بان الله اله وعيسى اله ومريم اله وبعض
فرقهم يقول بأنه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله
والنصارى هم قوم عيسى وسموا بذلك لانهم نصروه والاضافة في نبيهم للرد
عليهم في دعواهم الالهية له مع انهم يسمون أنه نبيهم والنبي ليس الها
فلا تنافي الاضافة ان سيدنا محمد انبيهم أيضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر
الاضافة من انه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت
مدحافيه أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه
من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات أخذا من قوله
وانسب الخ وقوله واحكم أي راع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه
وسلم بان تأتي بالمدح اللائق بمجانبه الشريف وقدره المنيف دون غير

اللائق بذلك الجنب فليس قوله واحتكم حشوا كما قيل لانه افاد انه وان
جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير ما ادعته النصارى في بينهم
يتعين عليك مراعاة الحكمة في مدحه صلى الله عليه وسلم ومن هذا يعلم
ان ما يقع من التغزل بابيات مشتملة على صفات الاحداث لا يجوز حملها
على النبي صلى الله عليه وسلم لان ذلك اساءة ادب لكونه لا يليق بالجنب
الشريف ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم
كسان والمصنف وابن رواحة

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم
(قوله وانسب الى ذاته الخ) هذا البيت تفصيل لما اجمله في قوله واحكم
بما شئت مدحا الخ ويؤيد ذلك ما في بعض النسخ من التعبير بالفاء بدل
الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على ان المراد انك
تحكم بصحة ما شئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل
قوله وانسب الى ذاته الخ على ان المراد انك تباهر المدح وتنشئه والاقل
اقرب كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف أى الذى شئته من صفات
الشرف كتناسب الاعضاء والبياض المشرب بحمرة ونظافة الجسم
وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب
وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ما شئت من عظم أى وانسب الى كماله
الذى شئته من صفات العظم كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم
وامثال ذلك ومن في الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف
لمناسبتها لها في العلو وخص القدر بالعظم لمناسبتها له في عدم النهاية

فان فضل رسول الله ليس له * حذف يعرب عنه ناطق بفهم

(قوله فان فضل رسول الله الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال
لان فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حدى ليس له غاية ومنتهى لانه
صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى في الكمال كل لحظة قال سيدي على وفا
ويشير بهذا قوله تعالى وللاخرة خيرا من الاولى لان معناه الاشارى

الغيب

وللعظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لأنه صلى الله عليه وسلم يترقى في التأخرة إلى كمالات زائدة عما ترقى إليه في المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبي فأستغفر الله أي أنه لتتراكم الأنوار على قلبي فأستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا بي الحسن الشاذلي لما رآه في النوم وسأله عن معنى هذا الحديث أنه غيب أنوار لا غيب اغيار يا مبارك وقوله فيعرب عنه ناطق بفهم أي فيفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم بالسان فعني يعرب يفصح وهو بالنصب في جواب النفي والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم اللسان وعبر عنه بالفم لأنه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بفهم بعد ناطق للتأكيده على حد قولك سمعت بأذني ونظرت بعيني أو للإشارة إلى التعميم في الناطق فيشمل العربي والعجمي كقيل به في قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا امم أمثالكم فان كلا من قوله في الأرض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر للتعميم فيهما

لونا سبت قدره آياته عظما * احيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

(قوله لونا سبت الخ) كأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب قدره في العظم وذلك كهذا البيت استدلالا على ذلك فإنه إشارة إلى قياس استثنائي نظمه هكذا لونا سبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به لكان لم يكن من آياته أن يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره في العظم وهو المطلوب لأن الواقع أن قدره صلى الله عليه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن المتلوي بخلاف القرآن غير المتلوي وهو المعنى القائم بذاته تعالى فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من المحدث وما شاع على الالسننة من أن كل حرف من القرآن أفضل من محمد وآل محمد فكلام باطل ولا يصح جملة على القرآن القديم لأنه ليس بحرف ولا صوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكر المصنف

أو قدوة
القرآن

الشرطية وحذف الاستثنائية والنتيجة ووجه الملازمة في الشرطية ان
الاحياء المذكورة اعظم آية وبه تكون الآيات مناسبة لقدره صلى الله
عليه وسلم أى يكون مجموعها بواسطة كون الاحياء المذكورة منه مناسبا
لقدره الشريف لا كل فرد منها لانه لا يلزم من جعل الاحياء المذكورة
منها ان يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم لا يقال
كيف لم يجعل الاحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات
عيسى عليه السلام لاننا نقول الكلام في احياء اسمه دارس الرمم حين
يدعى به وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات
عيسى عليه السلام وانما الذى جعل من آيات عيسى احياءه الموتى
بإذن الله ولا يخفى ان قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من
قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته أعلام نبوته كالمعجزات وقوله
عظما منصوب على نزع الخافض كما اشرنا اليه ويصح ان يكون تميزا بل هو
الاولى لان النصب على نزع الخافض سماعى لكن كثر في كلام المؤلفين
حتى جرى مجرى القياسى وقوله احياء اسمه حين يدعى دارس الرمم أى
احياء الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به كأن يقال يا الله بحمد أحي
هذا البيت فاسناد الاحياء الى اسمه مجاز عقلى وصلة يدعى محذوفة أى به
والطرف متعلق بقوله أحياء ودارس الرمم مفعول أحياء فهو منصوب
وجوز بعضهم ان يكون مرفوعا على انه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه
كأن يقال يا ميمت احي باسم محمد صلى الله عليه وسلم ودارس بمعنى
مدرس واصله لما بعده من اضافة الصفة للموصوف أى الرمم
المدرسة والرمم جمع رمة وهى الشئ البالى والمدرسة التى زيد فى بلائها
وخاصية هذه الايات التى أولها محمد سيد الكونين الى آخر هذا البيت
شدة قلب المغازى فى سبيل الله فانه يكتبها ويحوها بالماء الموجود فى شهر
رمودة ويشربها فانه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول وكذلك من
كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فان الله يثبتته عند سؤال منسكرو نكير

لم يمتحننا بما تعبي العقول به * حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

(قوله لم يمتحننا الخ) أى لم يمتحننا بشئ تعجز عنه عقولنا ولا تهتدى لوجهه لشدة رغبته فى هدايتنا بل أتى بالحنيفية الواضحة فلم نتردد فيما أتانا به ولم تحير فيه فلا امتحان الاختبار وما واقعة على شئ والعى بالامر العجز عنه وعدم الاهتمام لوجهه والعقول جمع عقل وهو قوة يميز بها بين المصالح والمفاسد والحرص على الشئ شدة الرغبة فيه والارتباب الشك والهام التخيير ولا يخفى ان قوله حرصا علينا على تقدير مضاف أى حرصا على هدايتنا وهو مفعول لاجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى ادراكه على بعض العقول فان قيل كيف يصح قول المصنف لم يمتحننا بما تعبي العقول به مع ان فى القرآن المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله أجيب بان المراد لم يمتحننا فيما كلفناه بما تعبي العقول به وحينئذ فلا يرد المتشابه لانه لا يتعلق به تكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها على ان التحقيق ان الوقف على قوله تعالى والراسخون فى العلم فهم يعلمون تأويله ويعلمونه لغيرهم

أعيان الورى فهم معناه فليس يرى * فى القرب والبعد فيه غير منفهم

(قوله أعيان الورى الخ) لما أخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بفضائله صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ أخبرنا بعجز العقول عن ادراك كماله بقوله أعيان الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه أى ادراك حقيقة صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله به من المعارف الالهية والاسرار الربانية واسناد الاعياء الى الفهم مجاز عقلى لان الذى أعيانهم انما هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تفريع على قوله أعيان الورى الخ وفى ليس ضمير الشأن وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهى بصرية وفى القرب والبعد متعلق ببرى وفيه متعلق بمنفهم وفى بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفهم نائب فاعل يرى والمنفهم العاجز

وحاصل المعنى انه اعجز الخلق فهم حقيقةه فليس يبصر شخص غير عاجزه
في القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والمتبادران المراد القرب والبعد
بحسب المكان أى فليس يرى في المكان القريب والمكان البعيد منه
صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل ان المراد القرب والبعد
بحسب الزمان أى فليس يرى في الزمان اتقريب والزمان البعيد منه
صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل أيضا ان المراد القرب
والبعد في المعنى فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم
الشمود تضعف بصائرهم عن ادراكه صلى الله عليه وسلم لقوة اشراقه
عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم وأهل الظاهر
الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الخس لا يدركون الاشخاص
مصورا وجسما مقدرا البعدهم منه صلى الله عليه وسلم

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكمل الطرف من اعم

(قوله كالشمس الخ) أى هو كالشمس الخ فهو خبر لمبتدأ محذوف والمقصود
تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس في انه لا يحاط بكنهه وحقيقته في
حالتى القرب والبعد كما وضح ذلك المصنف بقوله تظهر للعينين الخ لانه
قصد بذلك بيان وجه التشبيه وقوله من بعد أى في حالة البعد فن بمعنى في
وبعد اضممتين كما هو لغة في بعد بضم الباء وسكون العين وقوله صغيرة أى
حال كونها صغيرة بقدر المرأة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله
وتكمل الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تسكل وسكون الراء من
الطرف أى وتعبي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الاقرب
وقيل لعظم جرمها فانه قيل انها قدر كرة الارض مائة مرة ونيفا وستين
مرة فلا يمكن الطرف ان يحيط بها وقوله من اعم أى في حالة القرب فن
بمعنى في والأعم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي
فقط وأما بعد ها فهو واقع مطلقا وقيل ان البعد يكون في حال طلوعها
وعروبها والقرب يكون في غير ذلك والاول اقرب ولذلك اقتصر عليه

وكيف يدرك في الدنيا حقيقة * قوم نيام تسلو عنه بالحلم

(قوله وكيف يدرك الخ) هذا البيت في قوة التعليل لقوله اعيان الوري
فهم معناه الخ وكيف الاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفي أى لا يدرك
الخ واحترز بقوله في الدنيا عن الآخرة فانهم يدركون فيها حقيقة صلى الله
عليه وسلم لانه يحصل لهم اذذاك الانتباه ويكمل نور ابصارهم وبصائرهم
فيدركون الحقائق والدقائق والاسرار فيظهر لهم حينئذ قدره صلى الله
عليه وسلم ومنزلته ولذلك قدروا حينئذ على رؤية الحق سبحانه وتعالى
لعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا لضعف قواهم وكونها عرضة للفناء فاذا
رزقوا قوى قوية مثبتة رأوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقة صلى الله عليه
وسلم قدره ومنزلته وقوله قوم نيام أى قوم غافلون عن النظر في حقيقة
وهذا وصف لازم لا يخص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الوري وقوله تسلو عنه بالحلم
بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها أى اكتفوا عن النظر في حقيقة
تفصيلا بما يشبه الحلم مما ذكره بالخبر جملة كذا يؤخذ من كلام بعض
الشارحين ويحتمل انه على ظاهره من انهم اكتفوا عن النظر في حقيقة
بما يرونه في منامهم ان صحت لهم رؤيته في النوم وقد اقتصر على هذا بعض
الشارحين والاصح ان رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وان رؤى
على غير هيئته التي كان عليها في الدنيا الحديث من رآني فقد رآني حقا وقيل
لا تكون حقا الا ان رؤى على هيئته الشريفة

فبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

(قوله فبلغ العلم فيه الخ) هذا البيت مفرع على قوله اعيان الوري فهم معناه
الخ فيترتب على ذلك ان ما يبلغه علم الناس في حقه صلى الله عليه وسلم انه
بشر لا اله ولا ملك وانه خير مخلوقات الله كلهم انسا وجنا وملاكا وغيرهم

وقوله فيه أى فى حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله انه بشر راجع للذات وقوله وانه خير خالق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك القصور عن ادراك الكنه فى الجانبين والبشر اسم لبنى آدم سموا بذلك لبدق بشرتهم وهى ظاهر الجلد وخير أصله خير خذفت منه الهمة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء للخاء فصار خير فهو افعل تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع واما قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخير فالجموع فيه خير مخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الاصل لكن صار حقيقة عرفية

وكل أى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

(قوله وكل أى اتى الرسل الخ) أى وكل المعجزات التى اتى بها الرسل الكرام لامهم فلم تتصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أو من نوره الذى هو أصل الاشياء كلها فالسموات والارض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الانبياء من نوره وهكذا فى معنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل بسكون السين ويقال فى غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق بأتى والضمير راجع للآتى وانما للعصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لانه يهتدى بها ويصح حمله على النور المحمدى الذى هو أصل المخلوقات كلها كما حمله عليه بعض الشارحين ومن لا بداء والباء للاصاق لا يقال كيف تكون المعجزات التى اتى بها الرسل الكرام لامهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع انهم متقدمون عليه فى الوجود لانا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الانبياء من حيث النور المحمدى

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس فى الظلم

(قوله فانه شمس فضل الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه أى فانه كالشمس فى الفضل وقوله هم كواكبها أى الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه أيضا أى مثل كواكبها ووجه

التشبيه فبها ان الشمس جرم مضى بذاته والكواكب اجرام غير مضيئة بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فاذا كانت الشمس تحت الارض فاضاء نورها من جوانبها فيطلب الصعود لان النور يطلب مركز العلو فيصادف اجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضيء في الظلمات وتظهر انوار الشمس فيها للناس من غير ان ينقص من نور الشمس شيء فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته ونور سائر الانبياء ممتد من نوره من غير ان ينقص من نوره شيء فيظهرون ذلك النور في الكفر الشبيه بالنظم فلذلك قال المصنف يظهر انوارها للناس في النظم وكما ان الشمس اذا بدت لم يبق اثر للكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله في بعض النسخ (حتى اذا اطاعت في الافق عم هداها العالمين واحيت سائر الامم) وظاهر هذا البيت انه صلى الله عليه وسلم مرسل للامم السابقة لكن بواسطة الرسل فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه اخذوا من قوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق النبيين انيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذي عليه الجمهور انه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الامة دون الامم السابقة فالمسئلة خلافية والحق الاول

أكرم بخاق نبي زانه خلق * بالحسن مشتمل بالبشر متسم

(قوله اكرم بخاق نبي الخ) أي ما اكرم خلق نبي الخ فاكرم فعلى تعجب لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخاق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق أي حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم أي متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقة وجهه والاتسام الاتصاف ولا يخفى ان قوله بالحسن متعلق

بمشمول وهو بالجر على انه صفة لنبي فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال في قوله بالبشر متمم وحاصل المعنى ما أحسن صورة نبي حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه

كالزهر في ترف والبدر في شرف * والبحر في كرم والمدهر في همم

(قوله كالزهر في ترف الخ) صفة رابعة لنبي وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر في الترف وبالبدر في الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر في الكرم وبالمدهر في الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات يفتح النون والترف بفتح التاء المشاة الفوقية والراء المهملة النعومة قال أنس ما مسست حريرا ولاديا جا الين من كف النبي صلى الله عليه وسلم والبدر هو القمر ليلة كاله وهي ليلة أربعة عشر وانما سمي في تلك الليلة بدرا لانه يبدر الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور في قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في الاحاديث الكثيرة منها حديث أنس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام أى لاجل الاسلام شيئا الا اعطاه اياه قال فسأله رجل غنما بين جبلين فأعطاه اياه فأتى قومه فقال يا قوم اسلموا فوالله ان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر والدمر الزمن والهمم جمع همة وهي العزم على الشيء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزمات وارادات ويشبهون الممدوح به في تلك العزمات والارادات وسبب ذلك ان الحادثات الدقية انما تقع في الدهر فينسبون بها اليه على سبيل المجاز العقلي كقولهم نهاره صائم وليله قائم ولقد غلا أى تجاوزا الخدم قال

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

له راحة لوان معشار عشرها * على البركان البراندي من البحر
 ووجه الغلو أي مجاوزة الحد انه اثبت لمدوحه همما صغرى وكبرى
 وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى أجل من الدهر
 أي من همم الدهر والمصنف جعل همم النبي مثل همم الدهر فيلزم من
 ذلك ان همم الممدوح أجل من همم صلى الله عليه وسلم وهو باطل
 وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم
 وعليه فلا غلو لانه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا ابلاغ في مدحه صلى
 الله عليه وسلم من كلام الناطم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان

كانه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم

(قوله كانه وهو فرد الخ) صفة خامسة للنبي وكان للتشبيه والضمير اسمها
 وجملة وهو فرد حال من المفعول في تلقاه فالواو والعال ومن جلالته أي من
 أجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو
 معنى كأن من التشبيه وقوله في عسكر وفي حشم خبر كأن وتقدير البيت
 كانه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من أجل جلالته وقصد
 المصنف تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه اذا كان في عسكر
 وفي حشم وهو صلى الله عليه وسلم اذا كان في عسكر وفي حشم له هبة
 ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له أيضا هبة ووقار من أجل جلالته
 والجلالة العظيمة والعسكر الجيش والحشم يفتح الحاء والشين المعجمة
 الخدم والخطاب في تلقاه لكل من صلح للخطاب وحكى ان بعضهم رأى
 في المنام ان الصديق رضي الله عنه يزف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
 البيت والذي بعده

كأنما الأولوا المكنون في صدف * من معدني منطق منه ومبتسم

(قوله كأنما الأولوا المكنون الخ) صفة سادسة للنبي وقد جرى المصنف
 في البيت السابق وهو قوله كالزهر في ترف الخ على ما تجرت به العادة

في التشبيه وجرى في هذا البيت على عكسه لانه شبه اللؤلؤ المسكنون في
صدفه بكلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدني منطقته
ومبتسمه والاصل أن يشبهه بكلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذان
يبرزان من معدني منطقته ومبتسمه باللؤلؤ المسكنون في صدفه يجامع
الحسن في كل فالصنف عكس التشبيه كما في قول الشاعر

وبدى الصباح كان غرته * وجهه الخليفة حين يمدح

وفي ذلك اشارة الى ان الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار اصلا والاصل
لضعف وجه الشبه فيه صار فرعاً ويسمى التشبيه المقلوب وهو ابلغ في
المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجواهر والمسكنون المصون وفي صدف
متعلق بالمسكنون والصدف المحار الذي يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى
ينشق عنه كما ان القلب وعاء للكلام النفسى حتى يبرزه اللسان وكما ان
الشفيتين المنضميتين على الثغرى كالعواء له وانما قيد اللؤلؤ بالمسكنون في
صدف لانه يكون في الصدف أحسن منظر امنه خارج الصدف
والاضافة في معدني منطق منه ومبتسم للبيان أى من معدنين هما
منطق منه ومبتسم ويصح ان تكون من اضافة المشبه به للشبه أى من
منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين والمنطق محل النطق وهو راجع
لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام
لا يكسرهما خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثره صلى الله عليه وسلم
ومعنى البيت كأنما اللؤلؤ المصون في صدفه بكلامه وثره صلى الله عليه
وسلم اللذان يبرزان من معدني منطق منه ومبتسم وفي كلامه الحذف
من الثانى لدلالة الاول أى ومبتسم منه

لا طيب يعدل تر باضم اعظمه * طوبى لمن تشق منه وماتم

(قوله لا طيب يعدل الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من
الحاسن قبل مفارقتة الدنيا مدحه بما اتصف به من الحاسن بعد هاقبال
لا طيب الخ والطيب ما يتطيب به من مسك ونحوه والترب بسكون الراء

لغة في التراب والضم الجمع والاعظم جمع عظم وطوبى اما مصدر بمعنى
التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها
وعلى الأول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والاصل طاب المنتشق
والمثلث حذف الفعل وأتى بالمصدر بدل من التلطف به وزيدت اللام
لتبيين الفاعل وعلى الثاني فهو مبتدأ خبره ما بعده وعلى كل فيحتمل أنه
اخبار وإنه دعاء وحاصل المعنى لا طيب يساوى التراب الذي جمع الجسد
الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب أو الشجرة التي في
الجنة لمنتشق منه وملتم على التفسيرين السابقين في طوبى ولما كان
الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضح
اشار للأول بقوله منتشق وللثاني بقوله وملتم والمراد بالملتم هنا المعفر
موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل أخذ له من الالتئام وهو
التقبيل لان تقبيل القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم
ان طيب التراب المذكور انما يسرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم
الذى هو على انواع الطيب ولذلك قال أنس ما شممت عنبراً ولا مسكاً
ولا شيئاً اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان اطيبية ذلك
التراب يحتمل انها باعتبار ما عند الله تعالى ويحتمل انها باعتبار ما عند
غيره أيضاً لكن لا يدرك ذلك الا من كشف له الغطاء من الاولياء المقربين
لان احوال القبر من الامور التي لا يدركها الا من ذكر فاندفع ما يقال
لو كان التراب المذكور من الطيب لزم ان يدرك طيبه كل احد كالمسك
فانه يدرك طيبه كل احد على انه لا يلزم من قيام المعنى بحمل ادراك كل
أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع وعدم الادراك لا يدل على انتفاء
المدرك الا ترى ان المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع انها قائمة به وقد قال
عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فامروضة من
رياض الجنة أو حفرة من حفرة النار ولا شك ان قبره صلى الله عليه وسلم
روضة من رياض الجنة بل افضلها وقد قال أيضاً عليه الصلاة والسلام

ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل
في حكم ما بينهما أما القبر فلخبر العام الذي ذكره وأما المنبر فلقوله صلى الله
عليه وسلم في آخر الحديث ومنبري على حوضي والحوض من الجنة وإذا
تقرر كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق بالشرعية
امتراء في أنه لا طيب يعدله وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي
وملأتم منه كما تقدم في البيت السابق

ابان مولده عن طيب عنصره * يا طيب مفتيح منه ومختتم

(قوله ابان مولده الخ) الابانة الكشف والظهار والمولد مصدر ميمي
يصلح لان يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها وعلى كل من الاحتمالات
الثلاثة لا بد من تقدير مضاف والاصل ابان آيات مولده وعن التعدي
والطيب الخلوص عما لا ينبغي في النسب والعنصر بضم العين المهملة
وسكون النون وضم الصاد هو الاصل والمراد به آبؤه الذين تناسل هو
منهم وقوله يا طيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لان العرب اذا
استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب أي يا طيب مفتيح الخ احضر
ليتعجب منك والمراد بالمفتيح يفتح الثناء من المشائين من فوق آدم عليه
السلام وبالمختتم كذلك سيدنا عبد الله خلافا لما قاله بعض الشارحين
من ان المراد بالمفتيح هاشم وبالمختتم النبي صلى الله عليه وسلم لان افتتاح
عنصره ليس بهاشم بل بآدم واختتامه ليس بالنبي صلى الله عليه وسلم
بل بسيدنا عبد الله واذا تعجب من طيب المفتيح والمختتم لزم ان يتعجب
من طيب ما بينهما وفي بعض النسخ بدل المفتيح المبتدأ والضمير في قوله
منه راجع للعنصر وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول أي ومختتم
منه كما في البيتين قبله وحاصل معنى البيت اظهرت وكشفت آيات
مولده عن خلوص آبائه صلى الله عليه وسلم عما لا ينبغي في النسب يا طيب
مفتيح الخ احضر ليتعجب منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم
ما ذكره عن امه انها قالت لقد أخذني الطلق واني لوحيدة في المنزل

وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة أى سقطة هالتي
ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادي فذهب رعي وكل وجع أجده
وكنت عطشى فاذا بشربة بيضاء فشربتها فأصابني نور عال الى آخر
الحديث وقد ذكره بطوله القسطلاني

يوم تفرس فيه الفرس أنهم * قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

(قوله يوم الخ) أى هو يوم الخ فهو خبر مبتدأ محذوف والضمير راجع
لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وان كان محتملا فيما تقدم للحدث وللزمان
وللمكان وقوله تفرس فيه الفرس أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر
الفاء وهى قوة يدرك بها الانسان المعانى اللطيفة بسبب الخيال الظاهرة
بخلاف الفراسة بفتح الفاء فانها الخدق فى ركوب الخيل والفرس بضم
الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع
كتابهم حين بدلوه وانما سموا فرسا لانه ولد لا بهم بضعة عشر رجلا كل
منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله انهم بالاشباع وقوله قد
أنذروا أى اعلوا بالبناء للجهول وقوله بحلول البؤس والنقم أى ينزل
البؤس والنقم بهم والجار والمجرور متعلق بأنذروا والحلول من حل يحل
بالضم أو بالكسر اذا نزل والبؤس هو الشدة المؤثرة فى القلب الهم والخزن
والنقم جمع نقة وهى العقوبة والمراد بالبؤس والنقم ما حصل لهم من
خراب ملكهم وتشتيت أحرهم وتفريق قبائلهم وتمزيقهم كل ممزق كادعا
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وحاصل المعنى ان يوم ولادته صلى
الله عليه وسلم يوم ظهر للفرس فيه انهم أنذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم
حيث قارنه ما سيذكره الناظم من الارهاصات المؤسسة لنبوته صلى الله
عليه وسلم

و بات ايوان كسرى وهو منصدع * كشميل اصحاب كسرى غير ملتئم

(قوله و بات ايوان كسرى الخ) عطف على قوله تفرس الخ أى و بات

في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايوان كسرى الخ والايوان كديوان بناء
بني طولاً غير مسدود الوجه بعده الملك جلوسه فيه لتدبير ما كره وقد كان
سمك ذلك الايوان مائة ذراع في مثلها ومكث في بنائه نيفا وعشرين سنة
ولهذا كان يظن انه لا يهدمه الا نفخة الصعق وقد اراد هارون الرشيد
هدمه لما بلغه ان تحته مالا عظيما فجز عنه فأبقاه على حاله وكسرى بكسر
الكاف لقب لكل من ملك الفرس والمراد به هنا النشروان بن قباد بن
فيروز وقوله وهو من صدع أي والحال انه منشق شقاينا أشرف به على
الهدم لا الخال في بنائه بل ليكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم ومع
انصداعه سقط منه اربعة عشر شرافة من شرافاته وكانت اثنين وعشرين
وقد روى انه لما ارتج ايوان كسرى وسقط منه الاربع عشرة شرافة احزنه
ذلك فوجه الى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر ما بدا فرفع النعمان
الخبر الى سطيج وقد اشرف على الضريح وهو القبر فقال يكون سبي
وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات ثم قضى على سطيج
وقوله كشميل أصحاب كسرى بفتح الشين أي حاطمهم وقوله غير ملتئم
خبريات وحاصل المعنى وصار ايوان كسرى والحال انه منصدع غير
ملتئم كشميل أصحاب كسرى فانه بات أيضا غير ملتئم بل تفرق ولم يتفق
لأحد مثل ما اتفق لكسرى في كثرة جيوشه واعوانه ولم يزالوا في تفرق
وتشتت حتى جاءت بشائر الاسلام

والنار خامدة الانفاس من اسف * عليه والنهر ساهي العين من سدم
(قوله والنار خامدة الانفاس الخ) يجوز رفع الجرئين على الابتداء والخبر
والعطف حينئذ من عطف الجمل لان هذه الجملة معطوفة على جملة قوله
بات ايوان كسرى الخ ويجوز رفع الاقل على انه معطوف على ايوان ونصب
الثاني على انه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال في قوله والنهر ساهي
العين الخ على لغة من اعرب المنقوص نصيبا كما عرابه رفعا وجرا
والعطف حينئذ من عطف المفردات والمراد من النار نار الفرس التي كانوا

يعبدونها وكان لها خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام
وفي عبارة بعضهم بألف عام ومعنى كونها خامدة الانفاس كونها منطفئة
اللهب مع بقاء الجمر فخمود النار انطفاء لهبها مع بقاء جمرها واما الهمود
فانطفاء لهبها مع جمرها والانفاس جمع نفس بفتح الفاء والمراد به هنا لهب
النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من اسف أى من اجل
اسف فن للتعليل والاسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه
متعلق باسف والاظهر ان الضمير الجرور بعلى راجع للايوان وجوز
بعض الشارحين ان يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه
ذلك بان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها وهذا من
حسن التعليل تقريرا لهم وهو ان يدعى الحكم علة مناسبة لكنها غير
موافقة للواقع كما في قوله

وما نزل الغيث الا لىكى * يقبل بين يديك الثرى

وقوله والنهر ساهى العين قد عرفت اعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات
الذى كان به قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في سماوة وهي بادية
بين دمشق والعراق والمراد بكونه ساهى العين انه ساكن العين التي هي
مادته عن الجرى على سبيل الاستعارة ويحتمل ان في الكلام استعارة
بالكناية فيكون قد شبه النهر بالسان ساهى العين تشبيها مضمرا في
النفوس وطوى لفظ المشبهة ورخص اليه بشئ من لوازمه وهو ساهى
العين وقوله من سدم أى من أجل سدم فن للتعليل والسدم بفتح السين
والدال الحزن وهذا من حسن التعليل أيضا وبعضهم جعل اثبات
الاسف للنار والسدم للنهر مجازا عقليا لتزيل كل منهما منزلة العاقل
وقد عرفت انه من حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من
الثاني لدلالة الاول أى من سدم عليه كما تقدم في نظائره

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها * وردّواردها بالغيط حين ظمى

(قوله وساء ساوة الخ) أى وساء أهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف

على حد قوله تعالى واستل القرية أى أهلها وسأوة اسم لمدينة من مدن
الفرس وهى بين همدان والرى وقوله ان غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى
غاضت بضاد مججمة قبل وبضاد مهملة غار ماؤها وذهب بالمره حتى ان
لهب النار ينبع من قعرها كأنما طبخت ارضها وكانت هذه البحيرة بركة
عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التى على ساحلها وكان طولها ستة اميال
فى مثلها عرضها وقيل ستة فراسخ فى مثلها عرضها وقال البكرى كان طولها
عشرة اميال وعرضها ستة وكان حولها ببيع وكائنس فخربت ومن ذلك
يعلم ان التصغير فيها ليس للتحقير وقوله وردت وارتدوا الخ أى وأن ردت وارتدوا
الخ فهو معطوف على مدخول أن فى قوله أن غاضت بحيرتها والباء فى
قوله بالغنظ للملابسة أو المصاحبة أى ملا بسا للغنظ أو مصاحبه له
والجار والمجرور متعلق برتد وقوله حين ظمى ظرف لواردها أى الذى يردّها
ويأتى اليها ليستقي من مائها حين عطش وحاصل المعنى واخزن أهل
المدينة المسماة بساوة أسر ان أحدهما غيض مائها والثانى ردت الذى يردّها
ليستقي منها بالغنظ حين عطش

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضر

(قوله كأن بالنار الخ) لا يخفى ان بالنار خبر كأن مقدم وما بالماء اسمها
مؤخر والاصل كأن ما بالماء بالنار وما اسم موصول بمعنى الذى وقوله من
بلل بيان لها وقوله حزنا أى للحزن فهو عملة لقوله كأن بالنار ما بالماء من
بلل وقوله وبالماء ما بالنار من ضرم فيه ما تقدم فيما قبله أى وكأن بالماء
ما بالنار من ضرر والضرر الالتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الاول
أى حزنا وحاصل المعنى ان النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها
ما بالماء من البلل فصارت مبتلة لحزنها وان الماء الذى غاض تلك الليلة
صار كأن فيه ما بالنار من الضرر لحزنه أيضا فكان ما بكل من نار فارس
وماء بحيرة ساوة انتقل للاخر من الحزن وخص الناظم من أوصاف الماء
البلل دون البرودة مثلا ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة

مثلاً لان الببال هو الذي يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لا تخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم والاضطرام هو الذي يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته فانه يقال ماء حار ولا يقال ماء مضطرم لان الاضطرام يستلزم غاية اليبس فان قيل الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل منقادة خاضعة لله قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فكيف يقول الناطم حزنا واللائق ان يكون ذلك فرحا الجيب بأن النار تحزن على نفسها من اجل انها لا توقد والماء يحزن على نفسه من حيث انه لا يجري فكل منهما ما شبيه بالحزين لا جل ذلك هذا ان كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وان كان المراد حزن أهلهما فلا شك لان أهلها يحزنون على تغيير ممالكهم وتشتيت أسرهم

والجن تهتف والانوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم (قوله والجن تهتف الخ) أى وصارت الجن تهتف فى الجبال والاودية فمن ذلك ما جاء انه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الجحون وهو ينشد ويقول فاقسم ما انثى من الناس انجبت * ولا ولدت انثى من الناس واحده كما ولدت زهرية ذات مفخر * محبة لؤم القبياتل ما جده ومنها ان هاتف سواد بن قارب أنشده ابياتا ثلاث ليال فيها الحث على المحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه والجن هم اولاد ابليس كما ان البشر اولاد آدم رقيب الجن اولاد الجان فابليس أبو الشياطين والجان أبوالجن والقول الاقل اقوى والتهتف قبل الصوت مطاقا وقبل الصوت الخفى وقوله والانوار ساطعة أى والانوار التى خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة ففى الحديث عن آمنة رضى الله تعالى عنها انها قالت لما ولدت خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قدر والى ذلك يشير عمه العباس بقوله

وأنت لما ولدت أشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق
فحق في ذلك الضياء وفي النور * روسبل الرشاد فخرق
وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أي والحق الذي هو أمره صلى الله
عليه وسلم من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالانوار ومن كلم كهتف
الجن ففي ذلك مع قوله والجن تهتف والانوار ساطعة لف ونشر مشوش

عموا و صموا فاعلان البشائر لم * تسمع و بارقة الانذار لم تشم

(قوله عموا و صموا الخ) هذا البيت واقع في جواب سؤال مقدر فكأن
شخصا قال له اذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم فابال الكفار جحدوا
نبوته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف بأنهم عموا و صموا الخ فالضمير
راجع للكفار فلا يكون لهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه
من الكلام حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من
معنى ومن كلم كأنهم عموا عن مشاهدة المعنى كالانوار و صموا عن سماع
الكلم كهتف الجن ففي ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف
ونشر مرتب وقوله فاعلان البشائر لم تسمع أي فاطهار البشائر به صلى الله
عليه وسلم كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله
وصموا وانما قال لم تسمع بالثناء الفوقية لان المضاف اليه اكسب المضاف
التأنيث وقوله و بارقة الانذار لم تشم أي ولا معة الانذار به صلى الله عليه
وسلم أي تحو بفهم به كالانوار لم تنظر لهم نظرا قبول فالمراد بالبارقة الامعة
وهي في الاصل اسم للسيف الامع يقال بيده بارقة أي سيف لامع
والمراد بقوله لم تشم لم تنظر يقال شام البرق نظر اليه وهذا مرتب على قوله
عموا وفي ذلك مع قوله عموا و صموا لف ونشر معكوس

من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم * بان دينهم المعوج لم يقيم

(قوله من بعد ما اخبر الخ) متعلق بقوله عموا و صموا وفي ذلك غاية التوبيخ
بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذي كانوا

يصدقونه ويتبعونه فيما يقولون وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها بمصدر
والاقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع
من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد
على الكلمة الحق مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يقم أى بأن ما هم
عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الاصنام لقيام له مع وجوده
صلى الله عليه وسلم والمراد انه أخبرهم بما يفيد ذلك لانه أخبرهم بانه
يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب دينهم المعوج

وبعد ما عاينوا في الافق من شهب * منقضة وفق ما في الارض من صهم

(قوله وبعد ما عاينوا الخ) أى ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على بعد
في قوله من بعد ما أخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قرأته
بالنصب نظرا لمحل الجار والمجرور وما موصولة بمعنى الذى والعائد
محذوف والتقدير عاينوه أى شاهدوه وأبصروه وقوله في الافق بسكون
الفاء كما هو لغة في الافق بضمها والمراد به هنا السماء لا حقيقة التى هى
اطراف السماء المماسية للارض لعدم وجود الشهب في ذلك وقوله من
شهب بيان لما عاينوه والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة
وليس هو النجم كما قد يتوهم لانه لا ينقض ولا يسقط وقوله منقضة أى
ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة
ليلة ولا دته صلى الله عليه وسلم ولم يكن لا كفار عهد بمثل ذلك وان كان لهم
به عهد في الجملة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السموات
كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات بسقوط الشهب
عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد في حراسة السماء فتنعوا من سائرها
بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون في مقاعد قريبة من
السماء بحيث يسمعون صريف الاقلام أى صوت اقلام الملائكة التى
تكتب ما يقع في العالم ولما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك
بالشهب أيضا كما قال الله تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع

فن يستمتع الآن بجذله شهيا بارصدا وقوله وفق ما في الارض أى مثل
ما في الارض في الانقضاض والسقوط لان اصنام الدنيا اصبحت منكوسة
تلك الليلة وما موصولة بمعنى الذي وقوله من صنم بيان لها أى من جنس
الصنم الصادق بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان
مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن
ما كان من غيره كالحاس

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم * من الشياطين ينفقوا اثر منهزم

(قوله حتى غدا الخ) أى ولم تزل الشهب تنقض الى ان غدا الخ فهو غاية
لحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى صار وقوله عن طريق الوحي متعلق
بمنهزم الواقع اسما للغدا وطريق الوحي هو السماء والوحي الكلام الخفي
والكتاب والاشارة والرسالة والالهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب
وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب بتبعيض وقوله ينفقوا اثر منهزم
أى يتبع اثر هارب آخر وحاصل المعنى ولم تزل الشهب تنقض الى ان صار
هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع اثر هارب
آخر ولم جرا

كانهم هربا ببطال ابرهة * أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى

(قوله كانهم هربا الخ) الضمير للشياطين وهربا حال أى في حال كونهم
هاربين والابطال جمع بطل وهو الشجاع القوي جدا وسمى بطلا
لبطلان همم الشجعان عند ملاقاته أولان الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ
بثأرها وابرهة بالصرف للضرورة والافهو ممنوع من الصرف للعلمية
والعجمة ومعناه بلسان الحبشة ابيض الوجه والمراد به هنا ملك اليمن
والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة والراحتان بطننا
الكف وقوله رمى بالبناء للجهول صفة لعسكر ويتعلق به كل من قوله
بالحصى وقوله من راحتيه والمقصود تشبيه الشياطين في حال هربهم من

الشهاب بابطال ابرهة أو بالعسكر الذي رمى بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم والمصرع الاول اشارة الى قصة أصحاب الفيل والمصرع الثاني اشارة الى غزوة بدر على ما رواه البخاري من ان رمى الحصى كان في غزوة بدر أو الى غزوة حنين على ما رواه مسلم من ان رمى الحصى كان في غزوة حنين ولا مانع من تعدد الرمي واشارته بقوله رمى بالبناء للجهول الى ان النبي صلى الله عليه وسلم وان باشر الرمي ظاهر السكن الرامي حقيقة هو الله قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم في وجوه الاعداء لم يبق منهم أحد الا دخل التراب في عينيه وانهمزوا جميعا فتبعهم المسلمون بأسر ونهم ويقتلونهم وحاصل قصة أصحاب الفيل ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقبيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قبيل من الحجارة فقال والمسبح لأبنين لكم بيتا خيرا منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الاسود والاحمر والاصفر وحلأها بالذهب والفضة وانواع الجواهر وأراد صرف الحج اليها ومنع الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا وتغوط فيها ولطح قبلتها بالعدرة ولحق بارضه فاغضب ذلك ابرهة وحالف ليقضن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه فيله فلما قدم اليه الفيل خرج في سبتين ألفا فلما بلغ المنحس يضم الميم الاولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة أمر ابرهة رجلا بالغارة الى مكة فضى اليها واستاق ابل قريش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا انه لا يطيقون قتاله فتركوه ثم لما تهيأ ابرهة لدخول مكة برك الفيل فضر به في رأسه ليقوم فأبى فوجهوه الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم ارسل الله عليهم الطيور الالبابيل مع كل طائر ثلاثة حجار حجر في منقاره والاخران في رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن اسفل مرقبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى

قصة اصح

بقوله الم تركيف فعل ربك باصحاب القيل الى آخر السورة

نبذابه بعد تسبيح يبطنهما * نبذ المسيح من احشاء ملتقم

(قوله نبذابه الخ) أي نبذ النبي صلى الله عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظة أو منصوب بقوله رمى في البيت قبله فيكون العامل فيه موافق له في المعنى كما في قولك جلست فعودا وقوله به أي بالخصى وهو متعلق بنبذا وقوله بعد تسبيح يبطنهما أي بعد تسبيح الخصى في بطن الراحتين الشريفتين بمعنى الكفين وظاهر كلام المصنف ان الخصى المرمى به سيج في كفيه صلى الله عليه وسلم وكان الناظم وقف على ذلك وأنه قصد التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه أنس حيث قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاه من خصى فسبح في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه في يده أي بكف فسبح أيضا ثم في يده عمر فسبح أيضا ثم في ايدينا فسبح وبذلك اندفع ما اعترض به بعضهم على المصنف من انه لم يثبت ان الخصى الذي رمى به في يوم بدر او حنين سيج في كفه قبل ان يرمى به وقوله نبذ المسيح من احشاء ملتقم أي كنبذ المسيح الذي هو يونس عليه السلام من احشاء الملتقم له والاحشاء ما انضمت عليه الاضلاع وقيل الامعاء والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولاه كان من المسجين للبت في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم أي فابتلعه الحوت وهوات بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه فلولاه كان من الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة فالتقمه من بطن الحوت بوجه الارض بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما وهو عليل كالفرخ المميط وقال تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين أي فنادى في الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من

النظامين في ذهاني من بين قومي من غير اذن و مراد المصنف التشبيه به
في ان كلا امر خارق للعادة وفي كلامه من المحسنات البديعية الاستتباع
لانه بعد ان تكلم على انقضا ض الشهب على الشياطين وتشبيههم في حال
هر بهم بابطال ابرهة أو بالعسكر الذي رمى بالحصي من راحته
الشريفتين استتبع الكلام على تسبيح الحصي بكفيه صلى الله عليه وسلم
وحقيقة الاستتباع ان يضمن كلام سبق لمعنى معنى آخر كما في قول ابن نباته
ولا بد لي من جهله في وصاله * فن لي بخل أودع الحلم عنده
فانه سيق للاخبار بكونه حلما وضمنه الشككية بانه ليس في الاخوان
من يصلح لا يداع الحلم عنده

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

(قوله جاءت لدعوته الاشجار الخ) أى أنت لطلبه الاشجار الخ فالجى
الاتيان والدعوة الطلب والاشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من
الاشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى وهو الخضوع وجملة قوله
تمشي الخ اما حال من الاشجار فتكون حالا مترادفة أو من الضمير في
ساجدة فتكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشي والساق
ما تحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم صفة للساق أو متعلق بتمشي
واشار بذلك لما روى ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال
له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فالت عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الارض فوقفت بين
يديه وقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فترجع الى
منبتها فأمرها فرجعت ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه وفي بعض
الروايات فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم
لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن
لي ان اقبل يديك ورجليك فأذن له وانما لم يأذن له صلى الله عليه وسلم
بالسجود اينانا بان السجود لا يكون الا لله لان مكانه من الدين عظيم لما فيه

من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضى حاجة الانسان فتظرف لم يجده شيئا يستقر به واذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق الى احداهما فآخذ ببعض اغصانها فقال انقادى معى ياذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الاخرى فآخذ ببعض اغصانها فقال انقادى معى ياذن الله فانقادت معه حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما لأم بينهما وقال لهما التما على ياذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقا فقامت كل واحدة منهما على ساق

كانما سطرت سطر الما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(قوله كانما سطرت الخ) هذا البيت لبيان اعتمادها في مشيها القويم وسلو كهذا السنين المستقيم والمعنى كانما سطرت تلك الاشجار في حال مشيها سطر الذي كتبه فروعها وهو الخط البديع أى الذى لم يعهد مثله المرسوم فى اللقم بفتح الهمزة والقاف أى وسط الطريق لكونها مشى مشى استقامة فلما لم يكن فى مشيها ميل ولا عوج شبه مشيها على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطر استقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك ان ما فى قوله لما كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والاضافة فى قوله بديع الخط من اضافة الصفة للموصوف وقد شبه اثر فروعها فى الارض المفيد للعتبر كالأعرابي السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد لتدبر المعانى على طريق التصريح

مثل الغمامة انى سار سائرة * تقيه حروطيس للهجير حى

(قوله مثل الغمامة الخ) أى هى مثل الغمامة الخ فهو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف واصلح قراءته بالنصب على انه حال من الاشجار أى حال كونها مثل الغمامة الخ والمراد انها مثلها فى الانقياد له صلى الله عليه وسلم معجزة وآية لرد المعارض فقد انقاد له عليه الصلاة والسلام الاعالى والاسافل فالاشجار من الاسافل والغمامة من الاعالى لانها السحابة وقوله انى سار

سائرة أى فى أى موضع سار هى سائرة أو كيف سار هى سائرة فانى بمعنى
فى أى موضع أو بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدأ المحذوف
ويصح نصبه على أنه حال من الغمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على
الأول وحال ثانية على الثانى وقوله حروطيس أى حر الشمس الشبيهة
بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المصنف مستعار للشمس على
طريق الاستعارة التصريرية وان كان فى الأصل هو التنوير وقوله للهجير
أى عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحروطيس أو لقوله تقيه
والهجير والهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار اذا كان حارا وقوله حى
يصح جعله فعلا ماضيا فكون الجملة صفة لوطيس أو فى موضع الحال
من الهجير أى حال كونه قد حى وتكون حالا مؤكدة لما علمت من
معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حاضى فيكون نعما للوطيس
أو للهجير ويكون وصفا كاشفا وهذا البيت اشارة الى ما روى من ان
أبا طالب خرج الى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من
قريش الى ان اشرفوا على بحيرا الراهب وكان فى صومعته فتزلوا عنده
وحطوا راحلهم وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج اليهم وفى هذه المرة
خرج اليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين هذا رسول الله الذى بعثه رحمة للعالمين فقال له اشياخ
قريش وما اعلمك بهذا فقال انكم حين اشرفتم من مكة والغمامة تطلله
فوق رأسه ولم يبق حجر ولا شجر الا خر له ساجدا ولا يسجدان الا لى
وانى لأعرفه بخاتم البوة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما آتاهاهم به كان صلى
الله عليه وسلم فى رعاة الابل فأرسلوا له فاقبل وعليه غمامة تطلله فلما
جلس وكانوا قد سبقوه الى فى الشجرة مالت عليه فقال انظروا الى فى
الشجرة مال اليه

اقسمت بالقبر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

(قوله اقسمت بالقبر الخ) أى اقسمت برب القبر الخ لان أهل الشرع

يمنعون الحلف بغير الله تعالى وان جرت عليه عادة الادباء لكن محل المنع في حقنا واما في حقه تعالى فله ان يحلف بما شاء من مخلوقاته لانها من آثاره قال تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها الآية وانما عبر بالماضي دون المضارع اشارة الى ان اعتقاده مطوى عليه منذ عقل وقوله المنشق أى الذى انشق آية له صلى الله عليه وسلم لان أهل مكة سألوه آية فأراههم انشقاق القمر فلقين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعدوا الى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا فأخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وحيلة قوله ان له الخ جواب القسم والضمير الاوّل للقمر المنشق والضمير الثانى للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة المناسبة والمشابهة فى الانشقاق اما انشقاق القمر فقد علمته وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات وقد جمعها بعضهم فى قوله

وشق صدر المصطفى وهو فى * دار بنى سعد بلامرية

كشقه وهو ابن عشر ثم فى * ليلة معراج وعند البعثة

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنهما لم تثبت وقوله مبرورة القسم أى ان القسم عليها مبرور فيه يقال بر فى يمينه اذا صدق فيها والمتبادر انه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمين مبرورة القسم وفيه شئ لان اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسم مبرور القسم ولا يخلو عن ركة الا ان يقال انه من باب الاظهار فى مقام الاضمار وقد علمت ما فيه الغيبة عن ذلك

وما حوى الغار من خبر ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عى

(قوله وما حوى الغار الخ) أى واد كرم ما حوى الغار الخ أو واقسمت بما

حوى الغار الخ وعلى الثاني فجواب القسم معلوم مما قبله والغار ثقب في
 الجبل وكان في جبل ثور باسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما حوى
 الغار وظاهره ان المراد بنفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما
 باقية على معناها كما ذكره بعضهم والاظهر جعله على حذف مضاف أى
 من ذى خير ومن ذى كرم وعلى هذا فافهمنى من لان ما لغير العاقل ومن
 للعاقل والمراد بالخير الاخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تغاير
 الاعم والاختصاص وكل منهما مال لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن
 أبى بكر ويحتمل ان الاول للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني لابي بكر وعلى
 هذا فافهمنا خصه بالكرم لانه أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
 وماله ولذلك لما أتيا الى الغار تقدم أبو بكر في الدخول لاحتمال ان يكون
 فيه ما يؤذى فيمنعاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر وكان هناك
 حجر فيه حبات وافاعى نفشى أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذى النبي
 صلى الله عليه وسلم فالقبة قدمه فجعلت الحيات والافاعى تضربنه
 وتلسعنه ولم تحرك مخافة ان يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت
 دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر ما يبكيك
 قال لدغت فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده
 لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفى بعض
 التواريخ انه مات بسم آخر لانه أكل مرة مع اعرابي فقال له اعرابي
 ارفع يدك يا خليفة رسول الله فان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وانت
 نموت في يوم واحد وكان كذلك وقوله وكل طرف الخ أى والحال ان كل
 طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر وقوله عنه أى عن
 ما حوى الغار وقوله عى يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبي
 وأبو بكر في الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حوا الى الغار ينظرون
 فاعماهم الله تعالى قال أبو بكر نظرت الى اقدامهم فوق رؤسنا فقلت

يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وفي التنزيل ثانی اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا

فالصدق في الغار والصدق لم ير ما * وهم يقولون ما بالغار من ارم

(قوله فالصدق الخ) أي فذوالصدق الخ فهو على حذف مضاف
أو يؤول الصدق بالصادق أو يجعل من باب المبالغة وقوله والصدق
أي في الغار ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاقوال وقوله لم ير ما بكسر الراء
أي لم يبرح وأصله لم يرم بما حذف منه الياء تبعاً لحذفها في استناده إلى
المفرد كافي قولك زيد لم يرم فان أصله يرم حذف منه الياء مع الجازم
لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون أي والحال أنهم يقولون الخ
والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله لي بالغار من ارم
مقول القول وارم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد وهو مبتدأ خبره
الجار والمجرور قبله ومن زائدة وانما قالوا ذلك لكونهم رأوا حوام الحمام
حول الغار ونسج العنكبوت على فيه فظنوا أنهم ما ليسا فيه كما اشار إليه
الناظم بالبيت بعده هذا وذلك انه تقدم رجل منهم فتطرحا متبين على قم
الغار فقال ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على قم الغار فعرفت انه
ليس فيه أحد فقال رجل آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف
وما اربكم بالغار أي وما حاجتكم به ان فيه لعنكبوتنا أقدم من ميلاد محمد

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

(قوله ظنوا الحمام الخ) هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علمت وقوله على خير
البرية متعلق بقوله لم تنسج أو بقوله لم تحم وفي كلامه الحذف من الثاني
لدلالة الاقوال أو بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضمها راجع
للعنكبوت وقوله ولم تحم يضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوش
وسبب ظنهم ذلك ان هذين الحيوانين متى أحسا بالانسان فرأى منه

ولم يعلموا ان الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه

وقاية الله اغنت عن مصاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

(قوله وقاية الله الخ) أى حفظ الله لهما من الكفار اغناهما عن مصاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو أو ان تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدو فالمراد بالمصاعفة من الدروع ان يلبس الشخص درعا فوق درع وقيل ان تنسج الدرع حلقتين وقوله وعن عال من الأطم أى واغنت عن عال من الحصون التى تحصن فيها من العدو فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع أطمه وهى الحصن وفى هذا البيت اشارة الى قوله تعالى الاتصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا الآية

ماضامنى الدهر يوما واستجرت به * الا ونلت جوارامنه لم يضم

(قوله ماضامنى الدهر يوما الخ) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ما سامنى الدهر ضيما الخ والمعنى على الاول ما ظلمنى الدهر فى يوم الخ وعلى الثانى ما أرا دنى وقصدنى الدهر بنظم الخ وعلى كل فلا بد من تقدير مضاف أى أهل الدهر والا فالدهر لا ينظم ولا يريد النظم وان جرت عادة العرب بنسبة الظلم اليه لوقوعه فيه وقوله واستجرت به أى طلبت منه ان يجيرنى من ذلك فالسين والتاء للطلب وقوله الا ونلت جوارامنه أى الا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أى حى وحفظا من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للجهول أى لم يحتقر بل يحترم قوله ماضامنى الخ هو الذى بعده فائدتها ان من كان مسجوناً أو خائفا من سلطان وداوم على قراءتهما سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجا

ولا التمت غنى الدارين من يده * الا استلمت الندى من خير مستلم

(قوله ولا التمت الخ) معطوف على قوله ماضامنى الدهر الخ والالتماس عند بعضهم اسم للطلب من المساوى والمراد منه هنا الطلب بخضوع

فائدة

وذلة وقوله غنى الدارين أى دارى الدنيا والآخرة والغنى فى الاولى بالكفاية
وفى الثانية بالسلامة من العذاب وقوله من يده أى من نعمته فالمراد من
المدهنا النعمة وقيل المراد منها الذات الكريمة وقوله الاستملت أى
الأخذت فالمراد بالاستسلام هنا الاخذ كفى قولهم استملت معروفة على
سبيل التجوز لانه فى الاصل اللبس باليد أو الفهم كفى قولهم استملت الحجر
وقوله انى بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير
مستلم بفتح اللام أى من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو
الماخوذ منه وانما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لانه لا يرد سائله
وبنده خير الدنيا والآخرة فان قيل اخباره عن نبيل غنى الدنيا منه صلى
الله عليه وسلم صحيح لانه مشاهد فى الحسن بخلاف اخباره عن نبيل غنى
الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فانه غير مشاهد فى الحسن فكيف يصح
اخباره عنه اجيب بانه مشاهد بقوة يقين الايمان وفى هذا البيت والذي
قبله براعة المطلب وهى كقوله الزنجاني فى كتاب المعيار أن يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية عن الاجحاف معتزنة بتعظيم الممدوح تشعربما فى
النفوس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة فى هذين البيتين

لاتذكر الوحي من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

(قوله لاتذكر الوحي الخ) هذا شروع فى مبدء الوحي وقوله من رؤياه حال
من الوحي ومن لا ابتداء أى لاتذكر الوحي حال كونه مبدءاً من رؤياه
فى النوم فان بدء الوحي كان بالرؤيا الصالحة فى النوم وكان صلى الله عليه
وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وقوله ان له قلبا الخ تعليل لما
قبله أى ان له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى اذا نامت
عيناه الشريقتان لم ينم قلبه لانه مهبط الوحي وقد شق وطهر من التعاق
بغير الله وماءى حكمة وايمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن ان
يخاطب ويتعلق به الوحي وقد ورد فى الصحيحين ان عيني تنامان ولا نام
قابي لا يقال يشكل على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه

في الوادي فلم يوقظهم الا حر الشمس لاننا نقول نظرا للقلب انما هو وفيما غاب
عن الشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت اخذت
حظها من النوم وهذا البيت والذي بعده فائدتهما الخفة من المرض من
كتبهما في صحيفة فخار ومحاهما بشارب العرق سوس وشر بهما على الريق
فانه يخف باذن الله تعالى

وذلك حين بلوغ من نبوته * فليس ينكر فيه حال محتمل

(قوله وذلك الخ) لما كان البيت المتقدم يوهم ان الوحي من رؤياه في النوم
دائم دفع ذلك بقوله وذلك الخ واسم الاشارة راجع للوحي من رؤياه في
النوم وقوله حين بلوغ من نبوته أي حين وصول الى نبوته فالبلوغ بمعنى
الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحي من رؤياه في النوم كائن وحاصل
حين الوصول الى نبوته وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة الملك في النوم
ليطبق ذلك في اليقظة بعد اذ لوجه في اليقظة ابتداء لا يمكن ان لا يطبق
ملاقاته فلما استأنس بذلك أتاه في اليقظة وقوله فليس الخ تفريع على
قوله وذلك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للفعول وحال محتمل لم نأب فاعل
والضمير من قوله فيه للحين المذكور وفي بعض النسخ منه بدل فيه
والضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتمل الوحي من رؤياه
في النوم لان المحتمل هو النائم وحاله ما يراه في نومه والحاصل ان ذلك
انما كان في ابتداء النبوة وقد نبي على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ
النبوة واذا كان كذلك فلا ينكر الوحي من رؤياه حينئذ وان كانت
مرتبة صلى الله عليه وسلم اعلى المراتب وكان مقتضى ذلك ان لا يكون
الوحي اليه في النوم لان الوحي في النوم ادنى من الوحي في اليقظة

تبارك الله ما وحي بمكتسب * ولا نبي على غيب بمنهم

(قوله تبارك الله الخ) هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى تبارك الله
تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا وقوله ما وحي

بمكتسب أى ليس وحى وان قل بمكتسب لاحد بسعيه فيه بان يحصله
 باسباب لان اكتساب الشيء تحصيله باسبابه التى جرت العادة الغالبة
 بحصوله عقبها واذ لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده
 فلا يتكرر وقوعه فى الرؤيا كما لا يتكرر وقوعه فى البقطة فان فعل الفاعل
 المختار لا يختص بحالة دون الأخرى فالذى عليه أهل الحق ان الوحي ليس
 مكتسبا بخلاف زاعمى ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا انه مكتسب
 بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الايمان بان ذلك محض
 فضل الله قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ومثل الوحي الولاية
 فليست مكتسبة أيضا بل بفضل الله يؤتية من يشاء وقوله ولا نبى على
 غيب منهم أى ولا نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمنهم على اخبار
 غيب أى على الاخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب بمعنى
 الغائب وهو صفة لموصوف محذوف وانما لم يكن النبي منهم ما على
 الاخبار بالغيب لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من
 الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
 وما تأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لان ما يقع منهم من
 باب حسنات الا برارسيئات المقربين فان المقرب أعلى درجة من البار
 فاذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة ومثلوا ذلك بما اذا تصدق البار
 برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر فان هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب
 سيئة لكون الأولى عنده ان يتصدق بالرغيفين معا وفى ذلك اشارة
 الى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أى بمنهم والى قوله تعالى وما ينطق
 عن الهوى ان هو الا وحى بوحي والخاص بل ان الانبياء معصومون من
 الكبائر وصغائر الخسة باجماع ومن صغائر غير الخسة على ما عليه المحققون
 والراجح انهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم
 قبل النبوة ولما وقع منهم محامل فأما قصة آدم وهى انه أكل من الشجرة
 وقد نهاه الله عنها فالمحمولة على انه تأول النهى مع انه وان كان منهيا

الولاية
مكتسبة

أه معصومون
كبائر

سأ آدم

امام ابراهيم

امام يوسف

واما قصه

فائد

ظاهراً هو ما مور باطنا الحكمة يعلمها الله تعالى فهي معصية لا كالمعاصي
 وأما قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة واتم
 التسليم هذا ربي فقد ذكره مجازاة لهم أي هذا ربي بزعمكم وغرضه بذلك
 التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما اقل قال لا احب الا فلين
 فكانه قال لو كان رباً لما اقل لكنه اقل فليس برب وأما ما صدر من
 اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يردلانه قد اختلف في نبوتهم فعلى
 القول بعدم نبوتهم لا اشكال وعلى القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما
 اؤلت به قصة آدم وامامهم يوسف بزائفا فهو أمر جبلي لا اختياري حتى
 يكون مذموما والرغبة في النساء محمودة اذ عدمها يدل على الغنة وهي
 نقصية ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه
 وذلك معنى قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وأما قصة داود
 عليه الصلاة والسلام وهي انه خطر به اليه انه ان مات وزيره في الحرب
 تزوج بزوجه لما علم من حسناتها فأرسل الله اليه ملكين في صورة رجلين
 اختصما اليه الى آخر القصة المذكورة في سورة ص فلا ترد أيضا لان
 ما وقع منه ليس معصية لكنه غير لائق بمقامه ولذلك عوتب عليه وبكى
 حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض المفسرين ان جماعة من
 الناس حقيقة تسور واقصره ليقتلوه فلما رأهم خاف كما قال الله تعالى ففرع
 منهم وانما خاف لما تقرر في العرف من انه لا يتسور دور الملوك من غير
 اذنهم الاذورية فلما رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة
 لأصل لها زعمانهم انما قصدوه لاجالها دون ما توهمه ثم ادعى واحد
 منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود في الجواب لقد ظلمك بسؤال
 نجتك المح وحمل الآية على هذه القصة اولى لان الملائكة لا يظلم بعضهم
 على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه
 من القسطلاني ببعض تغيير واختصار وهذا البيت والذي بعده فائدتهما
 الكتابة للصروع بين عينية والكتابة في خرقة زرقاء وتجعل فتيلة فيحرق

طرفها بالنار وتجعل تحت انف المصروع فتى حصل الدخان في انف
المصروع صاح فيخرج صاخا ويحيى الذي بين عينيه فيذهب الصارع
ولا يعود ابدا واذا خرج العارض فاكتب البيتين حرز مع شيء من القرآن
وعلقهما على المصاب فانك ترى العجب

كم أبرأت وصبا باللس راحته * وأطلقت أربا من ربة اللهم

(قوله كم أبرأت الخ) أى كثير من المرات أبرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا
وميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد أى مريضا ويجوز فتح الصاد
أى مرضا السكت على تقدير مضاف أى ذا مرض والاول اولى وهو مفعول
لأبرأت وجعله بعضهم تميزا لكم وجعل مفعول أبرأت محذوفا وقوله
باللس أى بسبب اللس وقوله راحته فاعل أبرأت وأشار بذلك الى
ما روى من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ووقعت على وجنته فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان لى امرأة احبها وأخشى انها ان
رأتنى على هذه الحالة قدرتنى وارفع حبي من قلبها فأخذ النبي صلى الله
عليه وسلم عينه بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت
أحسن عينيه ومن ان محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبي صلى
الله عليه وسلم فسبح عليها فبرأت من ساعتها ومن ان شرحبيل الجعفي
كانت بكفه سبعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاهما
للنبي صلى الله عليه وسلم فزال يبطحها بكفه حتى لم يبق لها اثر وغير ذلك
من وقائع كثيرة وقوله وأطلقت أى وحلت راحته وقوله أربا بفتح الهمزة
وكسر الراء بوزن فرحأى ذا أرب وحاجة وهى اعم من ان تكون
عطاء أو شفاء أو خلوصا من اثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء
وفسره بالمقد وقوله من ربة اللهم أى من عقدة الجنون فالربة بكسر
الراء وسكون الموحدة العقدة واللهم بفتح اللام الجنون ويصح تفسيره
بالذنوب والمعاصى وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه تعلق الجنون
أو الذنوب والمعاصى بالانسان بالحبيل الذى فيه عرى تربط فيها اعناق

الغنم لثلاث ذهب واستعير لفظ المشبه به وهو الرقعة المشبه به وأشار بذلك
الى ما روى من ان احمرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم باین لهابه جنون
فسبح بيده المباركة صدره فثبع ثعبان بالمثلثة والعين المهملة أى قاء قيئة فخرج
من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقتته

واحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكمت غرة فى الاعصر الدهم

(قوله واحيت السنة الشهباء الخ) أى واخصبت السنة الشهباء الخ فقيه
استعارة تصريحية تبعية لانه شبهه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه
به للمشبه واشتق من الاحياء بمعنى الاخصاب أحيت بمعنى اخصبت
أو استعارة بالكناية وتخيل لانه شبه السنة الشهباء بانسان ميت تشبهها
مضمرا فى النفس وحذف لفظ المشبه به ورضى اليه بشئ من لوازمه وهو
الاحياء ولا يخفى ان السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهباء
صفة للسنة وهى قليلة المطر سميت بذلك لانها تشبه الفرس الشهباء
وهى التى يغلب بياضها على سوادها وانما اشبهتها الغلبة بياض الارض فيها
لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته أى بالسقيا وقوله حتى
حكمت غرة فى الاعصر الدهم غاية لقوله واحيت الخ وغرة بالنصب على انه
مفعول لحكت وغرة كل شئ احسنه والاعصر جمع عصر وهو الزمن
والدهم بضم الدال والهاء جمع ادهم وهو الاسود لسواد الارض فيه بالزرع
شديد الخضرة حتى يرى انه اسود فتلک السنة كثر خصها جدا حتى كانها
غرة فى تلك الاعصر وأشار بذلك الى ما رواه الشيخان عن أنس ان رجلا
دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال
يا رسول الله هلك الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم أغثنا ثلاثا وما ترى فى السماء
من سحب ولا قرعة بفتح القاف والزاي أى قطعة سحب فطاعت سبحانه
ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس سببا ثم دخل رجل فى الجمعة الاخرى
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلك

الاموال وانقطعت السبل فادع الله بمسكها عنا فرقع يديه ثم قال اللهم
حوالينا ولا علينا الخ فأقامت أى انكشفت وخرجنا نمشي في الشمس
وسئل أنس أهو الرجل الاقل قال لا أدري

بعارض جاد او خلت البطاح بها * سيب من اليم أو سيل من العرم

(قوله بعارض الخ) أى احييت السنة الشهباء دعوته بعارض الخ فالجار
والجور متعلق بأحييت ويصح تعلقه بحكمت والمراد بالعارض السحاب
الذى أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد أى
جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفي قوله جاد نوع احتباس
لان العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتباس في قوله وأحييت
وقوله أو خلت أى أو ظننت وأو بمعنى الواو وانما عبر بأو ليستقيم الوزن
وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى ان ظننت كما في قول الشاعر

لأستسهل الصعب أو أدرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

فأوفيه بمعنى الى والمعنى الى ان ادرك المنى وقوله البطاح بالنصب على انه
مفعول أول لقوله خلت وجملة قوله بها سيب من اليم أو سيل من العرم
ستت مسد المفعول الثانى والبطاح جمع ابطح وهو الوادى المتسع الذى
فيه دقاق الحصى والضمير في قوله بها راجع للبطاح والسيب الجرى
واليم الجرو من الدخلة عليه ابتداءية والعزم بفتح العين وكسر الراء فى
الاصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو أيضا اسم لوادى من الدخلة
عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم أى
سيل الوادى المسوك بالسد الذى بنته بلقيس وهو بناء عظيم يحكم على
ما ذكره أهل التفسير والتاريخ وانما خص اليم بالسيب والعزم
بالسيل لان ماء اليم لكثرة ما يجرى فى الارض المنبسطة الى اسفل والى فوق
وماء العرم غالبا انما يقع فى اعلا الارض فلا يجرى الا سائلا أو والثانية
للتخمين فالمعنى انت بالخيار فاما ان تشبه الماء الكائن على سطح الارض
بسيب الجرو اما ان تشبهه بسيل السد أو التشكيك فالناظر يتشكك

في الماء الكثير الكائن على سطح الارض هل هو سيب من البحر أو سيل من السد

دعني ووصفي آيات له ظهرت * ظهور نار القرى ليلا على علم

(قوله دعني الخ) لما ذكر الناطم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر أن العدو المعاند والكافر الجاحد قال له كف عن ذكر هذه الآيات التي لا نسلمها فأجابه بقوله دعني الخ كأنه يقول له كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهورا تاما وقوله ووصفي آيات أي ذكرى لها بالنظم أخذنا مما يأتي وهو معطوف على الياء من دعني أو مفعول معه أي اتركني وذكرى آيات أو مع ذكرى آيات والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصفي وقوله له متعلق بمحذوف صفة لآيات أي آيات كائنة له صلى الله عليه وسلم أو متعلق بقوله ظهرت الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لأن الظهور لا زمل كل آية من آياته صلى الله عليه وسلم ويصح أن يكون احتراز اعما ثبت بالاحاد فكأنه يقول لنسلكرانا لا اصف الامالا يمكن انكاره لثبوت بالتواتر واما ما ثبت بالاحاد فلا لأنه يمكن انكاره وقوله ظهرت ظهور نار القرى أي ظهرت ظهورا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة وقوله ليلا نظرف لظهور نار القرى وقوله على علم أي على جبل وقد جرت عادة السكرام من العرب بايقاد تلك النار على الجبل ليهدى الضيفان الى منازلهم والتذكير في الليل والعلم للنوعية أي ليلا حال كأي شديد السواد على علم شامخ أي مرتفع أو للتعظيم

فالدر يزيد احسن وهو منتظم * وليس ينقص قدر اغير منتظم

(قوله فالدر الخ) لما كان قد يقال اذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فافائدة وصفك لها بهذا النظم أجاب بأنها وان كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما يزيد ظهورها

بذكرها ويزداد حسنهما بنظمها ولا ينقص قدرها منشورة لانه ذاتي لها فلا يفارقها سواء كانت نثرا أو نظما نعم ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص مع الاخبار بها منشورة لان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بامر محسوس يدرك فيه ما ذكر بقوله فالدر الخ أي فالدر المعلوم حسنه وهو اللؤلؤ يزداد حسنا والحال انه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير منتظم لان حسنه ذاتي له فلا يفارقه سواء كان منظوما أو غير منظوم نعم الحسن الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علت من ان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تميز بحول عن الفاعل والتقدير في الاول يزداد حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر ان الواو في قوله وهو منتظم واو الحال وان قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس الراجع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم

فما تطاول آمالي المديح الى * ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

(قوله فما تطاول الخ) لما كان قوله دعني ووصفي الخ قديهم ان آماله تطاولت بالمديح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل ان ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالى فاعل والمديح منصوب بترع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم اعلى بالياس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل ان ما استقهامية فتكون للاستفهام الانكارى وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على انه خبر ما الاستقهامية فانها مبتدأ كما علت وآمالى مضاف اليه والمديح منصوب بترع الخافض مثل ما مر على الوجه الاول والمعنى على هذا فافادة تطاول آمالي بالمديح الى تمام ما فيه صلى الله

عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم مع انها لا تنهاى وما ذكرناه
من ان المدح منصوب بترغ الخافض على النسخ التى فيها آمال بالاضافة
لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفى بعض النسخ آمال بلاياء
وعليه شرح القسطلانى وجعل المدح مجرورا لانه مضاف اليه لكن
على تقدير مضاف أى آمال صاحب المدح والتطاول فى الاصل مد
العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد شبه الآمال بذي عنق بتطاول
أى يمد عنقه الى ما يريد اذ ركه تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ
المشبه به ورخص اليه بشئ من لوازمه وهو التطاول ففى كلامه استعارة
بالكناية وتخييل والمدح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه أى الى استقصاء
ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الاخلاق
والشيم بيان لما فيه والاضافة فى ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى من
الاخلاق والشيم السكرية والاخلاق جمع خلق بضمين وهو الطبيعة
والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق بضمين
فعطف الشيم على الاخلاق من قبيل عطف المرادف وهو فى مقام المدح
سائغ وأيضا قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك
بقوله والشيم فهو احتراز فكانه قال كرم اخلاقه صلى الله عليه وسلم
من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير ان يكون طبيعة
وهذا البيت الى آخره تنكر العين خاصيتها لمن كان لا يحسن العبادة ولمن
كان ألسن لا تستقيم له حجة فليكتب هذه الايات فى صحيفة بخار بماء ورد
وزعفران ويحيا ويشربها عند ارادة النوم وقيامه من النوم فانه يصير
فصيح اللسان وتقوى حجه ويرزقه الله القوة على العبادة باذن الله تعالى

قائمة

آيات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم

(قوله آيات حق الخ) أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ
فآيات مبتدأ خبره مقدر قبله وهو الجار والمجرور واضافة آيات لحق من
اضافة الموصوف للصفة أى آيات موصوفة بانها حق وجميع ما سياتى

الى قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات وما يقع
بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بالذات مدح النبي صلى
الله عليه وسلم لكن لما ذكر ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات
الحق التي هي القرآن استطرذ بكثرة صفاتها وقوله من الرحمن أي من عند
الرحمن لا من عند محمد كما زعمه كفار قريش وقوله محدثة أي أحدثها الله
تعالى كما جاء في التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
الا استمعوه وهم يلعبون وفي بعض النسخ محكية بدل محدثة وقد جاءها
التنزيل أيضا قال تعالى كتاب احكمت آياته وقوله قديمة استشكى كل بأنه
ينافي قوله محدثة على النسخة الاولى لان الشيء لا يكون محدثا وقد يما معا
والا أدى الى اجتماع النقيضين وهو محال واجيب بانها محدثة باعتبار
الالفاظ قديمة باعتبار المعاني فهي محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد
حتى يؤدي الى اجتماع النقيضين وهذا الجواب مبني على ان الالفاظ
التي نقرأها تدل على الكلام القديم الذي هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قاله
السنوسي وغيره من المتقدمين لكن ناقش في ذلك العلامة ابن قاسم
واختار انها تدل على معنى مساو للمعنى الذي تدل عليه الصفة القديمة مثلا
أقيموا الصلاة يدل على طاب اقامة الصلاة ويجوز لو كشف عنا الحجاب
لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن ان يكون المراد ان هذه
الالفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفي لا العقلي لانه يلزم
عرفا من أن يكون له تعالى كلام لفظي بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ
أن يكون له كلام نفسي فان كل من اسند له كلام لفظي لزم عرفا ان
يسند له كلام نفسي اذ هو يدل عليه كما قال الاخطل

ان الكلام اني الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد ان الالفاظ
التي نقرأها صفة للموصوف بالقدم الذي هو الله تعالى لانها حادثة بل

بأمران

المراد ان معناها صفة له تعالى وهو مبني على محسن والافغنى الالفاظ التي
نقرأها منه ما هو قديم كدلول قوله تعالى الله الا هو الحي القيوم ومنه
ما هو حادث كدلول قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهم كانوا
خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجمل في هذه المسئلة نزاع طويل
والحاصل ان الالفاظ التي نقرأها لها دلالتان دلالة بالوضع وهي التي
اعتبرها العلامة ابن قاسم فان المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذي
تدل عليه الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي وهي التي اعتبرها
السنوسي وغيره من المتقدمين فان المدلول بهذه الدلالة هو الصفة
القديمة فكل من المسلكين صحيح كما في حواشي الكبرى

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم

(قوله لم تقترن الخ) أي لانها قديمة من حيث معناها على ما فيه فدلولاتها
قديمة على ما علمت والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث لانه لو اقترن
به لكان حادثا وقوله وهي أي هذه الآيات وقوله تخبرنا عن المعاد أي عن
عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى عود الخلق الى الله تعالى في الدار
الآخرة بعد انعدامهم في دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وقوله وعن عاد أي وتخبرنا عن
قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وذلك كقوله تعالى
حكاية عنهم يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك الآية
وسميت هذه القبيلة باسم أبيها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وكان عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد
وتزوج ألف امرأة وكان كافرا يعبد القمر ثم انه يقال للاولين منهم عاد
الاولى ولبن بعدهم عاد الاخرى ويقال لهم أيضا ارم تسمية لهم باسم جدتهم
ارم وقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدتهم التي كانوا فيها وقيل انها مدينة بناها
شدد ابن عاد لينة من فضة واخرى من ذهب في سخن عدن لما سمع بذكر
الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة وأساطينها أي

سميت عاد

أعمدها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة واصنافا
من الشجر واتم بناءها في ثلثمائة سنة وعند كملها ارتحل إليها بأهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فأهلكهم وقد اطنب المؤرخون في صفتها وهذا خلاصة خبرها وقوله
ومن أرم بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة أى وتخبنا عن أرم وذلك كقوله
تعالى الم تركيف فعل ربك بعاد أرم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وقد عرفت أن أرم تسمى عاد الاخرى وارم في الآية عطف بيان على عاد
اذا نانا بانهم غير عاد الاولى لسكن قضية سميها الآية أن المراد بأرم البلد
وهو احد الاقوال السابقة وانما كرر المصنف عن في الثلاثة لانها انواع
مختلفة فلا يحسن جمعها في واحد ولان لكل اخبارا تخصه وقيل كررها
للو وزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب

دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم

(قوله دامت لدينا الخ) أى استمرت عندنا فتسبب عن ذلك انها فافت
كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله
اذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين أى اذ جاءت
عنهم ولم تستمر بل لم تظهر على ايديهم الامر واحدة وذلك حين التحدى
ثم لم تظهر بعد ذلك واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي من
الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى
اوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين فشر يعنه باقية الى يوم الدين فتناسب ان تكون معجزته
كذلك والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو دعوى
النبوة أو الرسالة وهى مأخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان يأتوا
بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال

اذا ما رأيت الامر يخرق عادة * فجيزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة * فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر

نارق العامة

وان جاء يوما من ولى فانه لا * كرامة في التحقيق عند ذوى النظر
وان كان من بعض العوام صدوره * فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده * يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم * وقد تمت الاقسام عند الذى اختبر
وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير خارق لانه معتاد عند تعاطى أسبابه

محكمات فاتبعين من شبهه * لذى شقاق وماتبغين من حكم

(قوله محكمات الخ) أى والآيات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات
متقنات النظم في البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان
بمثلها فدل ذلك على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لن
اجتمع الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه أو ان معنى
محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله أحكمها أى أتى بها
ذات حكمة وكسر هاء لانها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقرآن الحكيم
قال الزمخشري أى ذى الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم
بحججهم وسماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض آيات القرآن فى ألفاظ
قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه لان مثل ذلك
لا يمكن أن يكون من كلام البشر وقوله فاتبعين من شبهه لذى شقاق بضم
التاء من تباينين لانه من أبقى أى فانت ترك تلك الآيات المحكمات شبهها
لصاحب شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو فى شق والاسلام فى
شق بل تزيداه فى زائدة فى المفعول والشبه به جمع شبهة وهى ما يظن دليلا
وليس كذلك بل وان شئت قلت كلام من خرف الظاهر فاسد الباطن
والشقاق المخالفة للحق والحاصل ان الكافر اذا ادعى امر المخالف للحق
وأقام عليه شبهها كان القرآن هادما لتلك الشبه به وضرىلا لها لما تضمنه
من الحكم والفوائد وإنما قال من شبهه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة

المفرد وان كان المقرر ان عموم المفرد اشمل فانه اذا انتفى الواحد انتفى
الجنس كله جمعه ومفردة بخلاف نفى الجمع فانه لا يستلزم نفى الواحد
تدبرها على ان طرق الباطل شتى فكنه يقول ان هذه الايات لا تبين
شيئا من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الانواع فاما من أحد تعرض له شبهة
الا ويجد شفاء منها في القرآن فانه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق
الدواء وقوله وما تبغي من حكم بفتح التاء من تبغي أي ولا تطالبين حكما
بفتحين يعني حاكم يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب
لظهور براهينها عليه فمن زائدة في المفعول كالتي قبلها فهي زائدة في
الموضعين كما ان مانافية في الموضعين

ما حوربت قط الا عاد من حرب * أعدى الاعادى اليها ما قى السلم

(قوله ما حوربت الخ) أي ما حورب الآتي بها وهو النبي صلى الله عليه
وسلم في الزمن الماضي الا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع
أشد الاعادى عداوة اليها ما قى السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم اما
بدخوله في الاسلام واما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها فاسناد
المحاربة اليها مجاز لان المحارب الآتي بها لا هي ويحتمل أن المراد بالمحاربة
المعارضة فيكون المعنى ما عورضت في الزمن الماضي بأن أراد أحدان
يأتي بمثلها بحسب ظنه لا يجوز عاد اليها أشد الاعادى عداوة مستسلما
منقادا من أجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم
الانقياد في كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى
عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى
الزمن الماضي وعاد من اخوات كان فسترفع الاسم وتتصب الخ برفع أعدى
الاعادى اسمها وما قى السلم خبرها واليهام متعلق بعاد وكذا قوله من حرب
ومن فيه للتعامل فهي بمعنى من أجل وذكر بعضهم انها لا تبدأ وحقبة
الحرب بفتحين ساسب المال لكن المراد به هنا الشدة أي شدة بلاغتها
مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم لانه يلزم من ساسب المال

الشدة وبمحتمل أن المراد به سلب الجملة التي هي كالمال لأن الشخص يخاف على حخته أن تدحض وتضمحل فيفتضح كخيف على ماله ومعنى أعدى الأعدى أشد الأعدى عداوة والأعدى جمع أعداء وهو جمع عدو فالأعدى جمع الجمع ومعنى السلم بفتحين السلاح أو الاستسلام والانقياد وفي التنزيل وألقوا اليكم السلم أي الاستسلام والانقياد

ردت بلاغتها دعوى معارضها * رد الغيور يد الجاني عن الحرم

(قوله ردت بلاغتها الخ) أي أبطلت بلاغتها دعوى معارضها الاتيان بمثلها ابطالا بمبالغة فيه فإذا ادعى المعارض الاتيان بمثلها في ظنه أبطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيمة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة وأراد أن يأتي بقرآن يشبهه القرآن فقال في معارضة سورة النازعات والطاحنات طحننا والعاجنات عجننا والخازنات خبزنا فافتضح لا بارك الله فيه والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التي هي الخلق من الحشو والتعميد والغرابة وقوله رد الغيور أي رد امثله رد الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء والاضافة في ذلك من اضافة المصدر لفاعله وقوله يد الجاني مفعول للمصدر الذي هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه غيورا يقتضى أن يرد ويدفع يد الجاني عنهم وإن لم يكن من محارمه بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجاني عن حرمة هو كما مر أنه وأخته وغيرهما فرده عنها أشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المصنف أن اعجاز القرآن للبشر عن الاتيان بمثله بسبب ما أشبهه من البلاغة التي لم يصلوا اليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثاني أنه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو أدخل في الاعجاز لان عجزهم عما هو من جنس مقدورهم أدخل في قيام الجملة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه أن اعجاز القرآن ليس

ط

بنفسه بل بالصرفة فيكون غير مجز بنفسه فالحق القول الاول

لهامعان كوج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم

(قوله لهامعان الخ) أى لتلك الآيات معان كثيرة لانهاية لها بل يمد بعضها بعضها كما أشار اليه بقوله كوج البحر في مدد أى مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضا اذ ما من موجة الا وبعدها موجة وهكذا وأشار بذلك الى قول بعضهم أقبل ما قيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم وما حكى عن بعضهم من انه قال لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقول على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه ما قاله رضى الله عنه من خمسة كنوز الاول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع أنواعه وأعداده الثانى معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج فى ضمن ذلك الى بيان جميع الاسماء الثلاث معنى مالك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والاهوال الرابع معنى اياك نعبد واياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعبادة وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وقوله وفوق جوهره في الحسن والقيم عطف على قوله كوج البحر في مدد أى ولهامعان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسناتها البديع وفي قدرها وشرفها وفوق ملازم للتصعب على النظر فيه وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم والضمير

القرآن

في جوهره للخبر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح
والقيم بكسر القاف وفتح الباء جمع قيمة والمراد بها هنا ما لها من القدر
والشرف مجازا لانها في الاصل ما قطع به المقومون وبذلك اندفع ما قد
يقال ان معانيها قد عمت على ما تقدم والقديم لا يوصف بأن له قيمة ووجه
الاندفاع ان المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الاصلى وفي هذا البيت
الجمع ثم التفريق وهو ان يدخل شيئين في معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد
أدخل هنا معاني القرآن والبحر في المدد والكثرة ثم فرق بينهما بأن حسنهما
وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه

فلا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسام

(قوله فلا تعد ولا تحصى الخ) هذا البيت مفرع على البيت قبله فالشطر
الاول مفرع على الشطر الاول والثاني على الثاني وقوله عجائبها أي
معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهي الشيء العديم النظير أو قلبه
وقوله ولا تسام بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها الف لينة وفي آخره
ميم أي لا توصف وقوله على الاكثار أي مع الاكثار منها الذي لا غاية
له فعلى بمعنى مع وقوله بالسام بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أي الملل
والجار والمجرور متعلق بتشام وحاصل المعنى انه اذا كان لها معان كموج
البحر في الكثرة التي لا غاية لها وفوق جوهره في الحسن والقدر والشرف
ترتب على ذلك انها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم تناهها
ولا توصف بالملل مع الاكثار منها لحسنها فغيرها من الكلام ولو بلغ
الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الاكثار منه
فيميل مع التردد ويعدى اذا اعيد بخلاف آيات القرآن كما ورد
في الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكباب على تلاوتها
يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة

قربت بها عين قارئها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

(قوله قربت بها الخ) أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قارئها

بإبدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فإن عين الحزين تكون مضطربة وعين المسرور تكون ساكنة فقوت من القرار بمعنى السكون وقيل من القربى ضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها والضمير المضاف اليه عائدا على الآيات التي هي اللفاظ ان فسر قارئها بتأليها فان فسر بقاصدها من قرأت اليه أى قصدت اليه كان الضمير المذكر كور عائدا على المعاني وقوله فقلت له أى فلما قرئت عينه بقراءة الفاظها أو بقصد معانيها قلت لقارئها بمعنى تأليها أو قاصدها وقوله لقد نظرت بحبل الله فاعتصم أى والله لقد فزت بما يوصى لك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أو امره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه القرآن بالحبل بجامع ان كلا سبب يتوصل به الى الاشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه والحبل يتوصل به الى أمور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لانه يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه فيه الايمان بالعروة واستعيرت العروة للايمان والاستمسك ترشيح لانه يناسب المستعار منه

ان تتلها خيفة من حر نار لظى * اطفأت نار لظى من وردها الشيم

(قوله ان تتلها الخ) أى ان تقرأها الخ وقوله خيفة أى خوفا فيكون مفعولا لاجله أو خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى أى التي هي جهنم وقوله اطفأت الخ جواب الشرط وقوله نار لظى فيه اظهار في مقام الاضممار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون الراء أى من موردها فن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذي يورد منه الماء وقوله الشيم بفتح الشين المجمة المستدرة وكسر الموحدة أى البارد وفي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرا في النفس

بجامع الحياة بكل اذ الماء به حياة الاشباح والآيات بها حياة الارواح
أو بجامع اطفاء الحرارة بكل فالماء يطفىء حرارة العطش والآيات تطفىء
حرارة نار جهنم أعادنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورخص اليه
بشيء من لوازمه وهو الورد والشيم ترشيح لانه يناسب المشبه به وحاصل
المعنى ان تقرأها خوفاً من حر نار لظى أو خائفاً منه اطفأت عنك بتلاوتها
نار لظى من أجل مورد الماء البارد والشاهد لذلك ما في مسلم اقرؤا لقرآن
فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه

كانها الحوض تبيض الوجوه به * من العصاة وقد جأؤه كالحم

(قوله كأنها الحوض الخ) أى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه
مجاز بالحذف أو انه عبر باسم المحل وأراد الحال به فيكون فيه مجاز
مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف
السابق أو بمعنى انما على ما علمت وقوله الوجوه أى ذور الوجوه فهو على
تقدير مضاف أو انه عبر بالوجه عن الذات من باب التعبير باسم الجزء
وارادة الكل وقوله به أى بالحوض وقوله من العصاة أى حال كونهم
بعض العصاة فن للتبعض ويحتمل انها بيانية وقوله وقد جأؤه الخ أى
والحال انهم قد جأؤه الخ فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة
والضمير المفعول راجع للحوض وقوله كالحم أى حال كونهم كالحم
بضم الحاء المهملة وفتح الميم الاولى أى مثل الفعم فالحم جمع حمة بمعنى
خمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء
مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كما ان الحوض تبيض
به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفعم في
السواد الذى أصابهم من النار فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون
الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة لان تلك صفته لما في الخبر من اغتسال
الجهنميين في بحر الحياة ففي خبر الصحيحين فيخرجون منها أى من النار
فيلقون في ماء الحياة وفي رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفي هذا البيت

التلخيص للخبر السابق

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يقيم
(قوله وكالصراط الخ) أي وهذه الآيات كالصراط استقامة وانما حذف
ذلك اعني استقامة لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذي
لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم
الذي هو اذق من الشعرة واحد من السيف أو واسع في حق ناس ضيق
في حق آخرين على الخلاف في ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر
أعمالهم فانه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من أبعاضه
الثلاثة لا بالنسبة بجملة لانه قد ورد انه ألف سنة صعيد وألف سنة
استواء وألف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة أي وكالميزان من جهة
العدل فعدلة بمعنى عدل لا تميز فإن قيل ليس من لوازم الميزان العدل
أجيب بأن أل في الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذي يكون في يوم
القيامة ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان في الدنيا
وليس للاستغراق في شمل كل ميزان وقوله فالقسط من غيرها في الناس
لم يقيم أي فالقسط بكسر القاف الذي هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقيم
في الناس فإن قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم في الناس كالمأخوذ
من السنة أو الاجماع أو القياس أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضا
أما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
بعضه فانتهوا وأما المأخوذ من الاجماع والقياس فلان مستندهما
الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص والالزم أن لا يكون في أهل
التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل

لا تعجب لحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

قوله لا تعجب الخ لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصاً قال له على
وجه التعجب اذا كانت الآيات بالمنزلة التي وصفت فكيف أنكرها

كثير من الكفار فقال له لا تعجب الخ أى لا ينبغي العجب لانه اذا ظهر السبب بطل العجب وهاهنا قد ظهر السبب وهو الحسد فانه هو الذى دعاه الى انكارها تجاهه لا واظهار الجهل مع علمه فى الواقع بما اشتملت عليه من أنواع الاعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجب ومعنى الحسود ذو الحسد وقوله راح ينكرها أى ذهب ينكر كونها من عند الله وأصل راح سار بالعشى ثم استعمل فى الذهاب والمراد انه أنكر ما اتضح دلالة حتى صار كالاشياء المحسوسة بخاتمة البصر فى نصف النهار الذى هو أول وقت الرواح وقوله تجاهه أى حال كونه متجهاً لا أى منظهر للجهل فانكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده وان كان قد أظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم أى والحال انه عين الحاذق بالذال المعجمة أى الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء أى الشديد الفهم وحينئذ فانكارها عناد دعاه اليه الحسد فلا عجب لانكارها للحسد وأشار بقوله الفهم الى أن حذفه ليس ناشئاً عن طول التجارب والتمكر ان يكونه كان بليد الطبع بل حذفه مع كونه فاهماً بالاصالة ولا شك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهماً بحسب الاصالة ما لا يحصل مع كونه بليد بحسب الاصالة وبهذا التقرير ظهر ان الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد • وينكر الفم طعم الماء من سقم (قوله قد تنكر الخ) لما ادعى ان انكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين الاول انكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها والثانى انكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به فكذلك انكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمتكرفهاتان الجملتان مسبقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف فهما والتقدير قد ينكر ذو العين الخ وقد ينكر ذو الفم الخ لان المنكر فى الحقيقة انما هو صاحب كل منهما

ياخير من يمسم العافون سياحته * سعيافوق متون الاينق الرسم

(قوله يا خير من يم الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به فخرنا
عنه على وجه الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال يا خير من يم الخ أى
يا خير كريم قصد العافون وهم الطالبون المعروف ساحته وهى حريم
داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين فى المشى ليحصلوا حاجتهم
أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التى ترسم الارض
وتؤثر فيها الحصول الحاجة سرية واوقصده بذلك الاستغاثه به صلى الله
عليه وسلم والتوسطه لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف
والساحة حريم الدار الواسع وسعيها بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو
الظهر والاینق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أنوق
ثم قلبوها ياء فصار آينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء
المشددة وضم السين جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة
الوطء عليها ومن هنا الى آخر قوله وحل مقدار الخ خاصيتها من خاف أن
يلومه السلطان على جنابة وقعت منه فليكنها فى جلد جمل ويجعله
منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله
أكبر ثلاثا فانه لا يكلمه أبدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة أو بين
أحد من أحبابه فليكنها فى جلد أسد ويجعلها فى كور عمامته ويدخل
على حبيبه وهو صامت فان حبيبه يبدأ بالكلام ويكون محباله وإياك
أن تفعل هذا للحرمان فاتق الله

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمغتتم

(قوله ومن هو الخ) أى وبما من هو الخ فهو معطوف على المنادى فى البيت
قبله وإجاز بعضهم أن يكون معطوفا على من فى قوله يا خير من الخ والأول
هو الظاهر وعليه فن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلافه
على الثانى فانها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة
وقوله الآية الكبرى لمعتبر أى الآية الكبرى التى هى اكبر الآيات لتأمل
ومتفكر لانه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التى لا تحصى وبالعلوم التى

لا تستقصي الى قوم مغرورين في الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم
وضلالتهم أن يعبدوا الاصنام فدلهم على الله وأرشدتهم الى ما لا ينال
الا بتخصيص من المولى الوهاب فن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى
أى الدليل الاعظم على أن ما جاء به حق قال تعالى وانك لنهدي الى
صراط مستقيم وقوله ومن هو الخ أى ويا من هو الخ فهو معطوف على
المنادى في البيت قبله ويحتمل أنه معطوف على من على ما قاله بعضهم كما
علمت في نظيره وقوله النعمة العظمى لغتكم أى النعمة العظمى التى هى
أعظم النعم للرشد أن يغتتم ما عند الله من السعادة الابدية لانه صلى الله
عليه وسلم أنقذ الخلائق من النار ومن الدخول في دار البوار بالبيان
الواضح والبرهان الناصح فن أراد أن يغتتم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة
العظمى له واسائر العالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

سريت من حرم ليل الى حرم * كما سار البدر في داج من الظلم

(قوله سريت الخ) كانه قال ومن معجزاتك انك سريت الخ ومعنى سريت
سرت ليل لان السرى هو السير ليل وسرى وأسرى بمعنى وقال السهميلي
سرى لازم وأسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهما
بمعنى فالْمفعول في قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده مخذوف والتقدير
أسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه
وسلم لانه المقصود بالخبر أو حذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم أى
حرم مكة وقوله ليل أى في ليل فان قيل اذا كان معنى سريت سرت ليل
ومعنى أسرى بعبده جعله ساريا أى سائر اليل فافائدة قوله بعد ذلك ليل
أجيب بان فائدته في النظم والآية التأكيد كما قاله الجوهري أو
الاعلام بانه في جزء من الليل كما قاله الزمخشري بقريضة تنكيره لانه للتقابل
ولولم يذكر لا حتمل أن يكون ذلك في الليل كله وليس كذلك قال الزمخشري
ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعضه وانما خص الليل
بذلك دون النهار لانه وقت تغريغ البال وقطع العلائق وقيل لان الله تعالى

لما حيا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر بان
أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل
بالشمس فليل لا تفخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيخرج
بشمس الارض في الليل الى السماء وقيل لانه سراج والسراج انما يوقد
في الليل وقيل لانه سمي بدرا في قوله تعالى طه فان الطاء بتسعة والهاء
بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال يابدرو وهذا يناسب قول
الناظم كما سرى البدر ولتدر القائل حيث قال

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير
قال لا استطيع تغيير رسمى * هكذا الرسم في طلوع البدر
انما زرت في الظلام لكىما * يشرق الليل من أشعة نوري

وقوله الى حرم أى حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر أى مثل سير
البدر الذى هو القمر ليلة كماله وهى ليلة أربعة عشر سعى بذلك لانه يبدرو
الشمس في الطلوع ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين
كالبدرو وأتم وقد قطع مسافة عظيمة في ليل مظلم كما سرى البدر المنير
في ليل مظلم مع سرعة السير وكل الانارة والداج اسم الليل المظلم يقال
دجى الليل أى أظلم فهو داج أى مظلم فقوله من الظلم تكملة أى من ذى
الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن البيان المشوب بالتبويض وفي
هذا البيت اشارة الى قصة الاسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه
الذى أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا
حوله وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كان في بيته أو في المسجد على
اختلاف الروايات في ذلك فجاءه جبريل وميكائيل ومعهم مملكة آخر
فاحتملاه وشققا صدره وغسله جبريل وملائه علما وحكمة وإيمانا
وبقيتنا ثم أتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره حتى وصل الى بيت المقدس النخ

وبت ترقى الى أن نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

معراج

(قوله وبنت ترقى الخ) عطف على قوله سرى بيت الخ أى وبعد وصولك الى بيت المقدس بنت ترقى أى تصعد قائده صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقة من فضة ومرقة من ذهب وهو الذى تعرج عليه أرواح المؤمنين فدليت له مرقة فصعد عليها الى سماء الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقبل من الباب قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أو قد أرسل اليه قال نعم قبل مرحبا به وأهلا ونعم المجرى جاء فلما جاوز السماء الاولى دلت المرقاة الثانية فصعد عليها الى السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسي ثم الى سدة المنتهى ثم الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام ثم دلى له الرفرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى ما شاء الله تعالى وهذا المكان هو الذى أعده الله للخطاب وفرض الصلوات والافاللة تعالى منزله عن المكان وقوله الى أن نلت منزلة غاية لما قبله أى الى أن أعطيت مرتبة في القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن فى العبارة قلب والاصل من قابي قوس أى من قدر ما بين قابي القوس لان كل قوس له قايان وبينهما شئ قليل جدا فيبين ما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فيبين ما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوى وقوله لم تدرك بالبناء للجهول أى لم يدركها غيرك وقوله ولم ترم بالبناء للجهول أيضا أى لم يرمها غيرك ولم يطمعها العلم بأنها ليست الا لك وفى هذا البيت اشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت حاصلها

وقد تمتك جميع الانبياء بها * والرسول تقديم مخدوم على خدم

(قوله وقد تمتك الخ) عطف على قوله سرى الخ أيضا ثم انه يحتمل أن المراد التقديم فى الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لان الله قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحى فى مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبين الآية ويحتمل أن المراد التقديم فى الحسن والخارج كما يدل عليه ما روى من أنه حشر له

جميع الانبياء والرسول ليلة الاسراء وصلى بهم في المسجد الاقصى بعد أن
أثنى كل على ربه بما هو أهله وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في ذلك فأننى
على الله بما الهمة له فقال ابراهيم عند ذلك بهذا فضلاكم محمد وذلك كان قبل
المعراج على المشهور ولا يخفى أن الكاف مفعول وجميع الانبياء فاعل
والحق الفعل التاء لان جميع في معنى جماعة أو لاضافته الى جمع التكسير
الذى يجوز تأنيده وقوله جميع الانبياء بالمتدوقوله أى بتلك المنزلة أو
الليلة المفهومة من قوله ليلا وقوله والرسول أى وجميع الرسل فهو بالجر
معطوف على الانبياء ويحتمل انه بالرفع معطوف على جميع وعلى الاول
فهو صريح في العموم وعلى الثانى فهو ظاهر فيه وهل كانت الانبياء
والرسول باجسامهم وأرواحهم أو بأرواحهم فقط والراجح أنهم كانوا
بأرواحهم فقط الأعيى وأدريس فانهما كانا بروحهما ورجسهما
وبعضهم رجح أن الانبياء جميعا كانوا باجسامهم وأرواحهم وعطف
الرسول على الانبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم
وقوله تقديم مخدوم على خدام أى تقديم مثل تقديم مخدوم على خدام فهو
بالنصب على المصدرية لكن على وجه التشبيه

أرواحهم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم * فى موكب كنت فيه صاحب العلم
(قوله وأنت تخترق الخ) أى وقدمتكم جميع الانبياء والرسول أنك تخترق
بمعنى تقطع السموات السبع الطباق أى التى هى طبقة فوق طبقة فالواو
للحال لاسكنها حال منتظرة لامقارنة ووصف السموات بانها طباق
مأخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقا أى طبقة فوق طبقة وقوله بهم
أى حال كونك ما رايتهم يعنى بالذى لقيه منهم فى حديث الاسراء
فى مسلم أنه مر فى السماء الدنيا بآدم وفى الثانية بعيسى ومحيى وفى الثالثة
بيوسف وفى الرابعة بادريس وفى الخامسة بهارون وفى السادسة بموسى
وفى السابعة بابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله فى موكب
بكسر الكاف أى حال كونك فى موكب فهو حال أو هو خبر ثان لانت

والمركب الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة وقد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما أعظمهما وأعظم هيئتهما وجملة كنت فيه صاحب العلم صفة لمركب أى كنت فيه المشار اليه لأن العلم الرمح فى رأسه راية ومن شأن صاحبه أن يشار اليه وهو المراد فاطلق اسم الملزوم وأريد اللازم أو المعنى على التشبيه وكان جبريل يستفتح فى كل سماء فيقال له ومن معك فيقول محمد كما تقدم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم هو المشار اليه فى ذلك المركب

حتى اذا المتدع شأوا لمستبق * من الدنوق ولا مرقى لمستتم

(قوله حتى اذا المتدع شأوا) غاية لقوله وانت تخترق الخ واذا ظرفية مجازية أى الى مقام للقرب وقوله لم تدع شأوا لمستبق أى لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وشأوا بفتح الشين المجمة وسكون الهمزة وفى آخره واو أى غاية والمستبق طالب السبق وهو الساعى ليسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا وقوله من الدنوق بيان للشأوا أى من القرب وقوله ولا مرقى لمستتم أى ولم تدع مرقى لمستتم والمرقى محل الرقى وهو الدرجة والمستتم طالب الرفع وهو الساعى ليرتفع والجار والمجرور متعلق بمرقى وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام للقرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ولم يترك درجة لطالب رفعة وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه فيما تقدم بقباب قوسين

خففت كل مقام بالاضافة اذ * نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

(قوله خففت كل مقام الخ) هذا البيت جواب اذا فى البيت قبله أى خففت كل رتبة لغيرك وقوله بالاضافة أى بالنسبة الى مقامك لا مطلقا والا فلا انبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه صلى الله عليه وسلم أكمل مقام غير منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق وان كان ذلك المقام المنخفض مرتفعاً فى نفسه وانما انخفض بالنسبة لمقامه صلى

الله عليه وسلم رايك أن تعتقد أن غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء
ليس متصفا بالكمال لان ذلك كفر فالواجب عليك أن تعتقد أنهم
متصفون بالكمال لكن نبينا أكمل وقوله اذ نوديت بالرفع أى لانك
نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شأنك الى ما لم يصله أحد غيرك
وهو أعلى مقامات القرب فاذللتكبر وقيل ظرف للزمان الماضي وقوله
مثل المفرد العلم أى حال كونك مماثلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص
بكونه نودى نداء مصحوبا برفع لفظه فكأن المفرد العلم خص بكونه نودى
نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المنادى فان ما عداه منها منصوب
كذلك صلى الله عليه وسلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين
سائر الانبياء فان ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله
عليه وسلم فان قيل المفرد العلم انما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم
التشبيه أجيب بان البناء على الضم رفع في المعنى والمراد بالمفرد العلم
المعرفة من اطلاق الخاص واردة العام لان النكرة المقصودة من أقسام
المعرفة عند المحققين فانها تتعرف بالقصد والاقبال عليه كالمشار اليه
وذلك كما في قولك مقبلا على رجل مخصوص يارجل فالقصد ورجل معين
لا شائع في جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم انما هو في النداء
بالرفع خاصة لا في خفض مقامات غيره

كما تفوز بوصول أى مستتر * عن العيون وسرأى مكتم

(قوله كما تفوز بالتح) أى لك كما تفوز بالتح فاللام مقدرة قبل كي فتكون
مصدرية وعلى هذا فى كى هي الناصبة للفعل بنفسها ويحتمل أن اللام
ليست مقدرة قبها فتكون تعليمية وعلى هذا فالناصب للفعل أن مقدرة
بعدها لا هي نفسها على الصحيح وما زائدة على الوجهين وعلى كل من
الوجهين فهو عملة لقوله سرى وبت الخ فالمعنى فعلت ذلك لاجل أن تفوز
الخ أى تظفر بوصول من الله لك حيث أحلك المنزلة التي رفعتك اليها وناداك
الى الصعود اليها وقوله أى مستتر عن العيون بتشديد أى وجرها على أنها

صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال أى وصل كامل فى الاستمرار عن
العيون وقوله وسرأى مكتتم بتشديد أى وجرها على أنها صفة لسر وهو
دال على معنى الكمال أى سر كامل فى الاستمرار عن الخلق ولا يخفى أن كلاً
من مستتر ومكتتم بصيغة الفاعل وبعضهم ضبط مكتتم بفتح التاءين وهذا
مأخوذ من قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى كما يدل على ذلك حديث
عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت يا رسول الله ما الذى أوحى إليك
ربك إذ قال فأوحى إلى عبده ما أوحى قال يا عائشة أتريدن أن أعلم ما لا
يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب فقالت أسألك
بأبي بكر الأمام أعلمتنى فقال انى لما كنت قاب قوسين قلت اللهم انك
عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما أنت
فاعل بامتنى فقال أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء وأبدل سيئاتهم
حسنات ومن دعائى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته
وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب
معاتبه حبيبه لما حاسبت أمتك ولما أردت الانصراف قلت يا رب لكل
قادم من سفره تحفة فما تحفة امتى قال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا وأنا لهم اذا
ماتوا وأنا لهم فى القبور وأنا لهم فى النشور كذا فى بعض الشروح وذكروا جمع
من الشراح ما نصه وهذا السر مأخوذ من حديث علمنى ربى ليلة الاسراء
علوما شتى فعلم أخذ على كتمانته وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى أن أبلغه
قال على رضى الله عنه فكان يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والى ما خبر
فيه اهـ لىكن لم يوقف على أصل لذلك فى كتب الحديث

فأوحى إلى عبده
فيه بشارته

حضرت كل فخار غير مشترك * وحزت كل مقام غير ضدهم

قوله حضرت الخ أى فى سبب ما نلت من تلك المرتبة حضرت الخ والحيارة
بالحاء المهملة الجمع فعنى حضرت جمعت وقوله كل فخار مفعول ل حضرت
والفخار بفتح الفاء كما هو المسموع وان كان القياس الكسر لقول ابن
مالك فى الخلاصة

لفاعل الفعال والمفاعله * وغير ما حصر السماع عادله

وهو ما يفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك أى بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاي أى عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والمقام الرتبة وقوله غير من دحم بفتح الحاء أى غير من دحم فيه لعدم الواصين اليه وهو من باب الحذف والا يصال ولا يخفى أن لفظ غير فى الموضعين مجرور على أنه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير من دحم فيها لأنه لا يصل إليها غيرك

وجل مقدار ما أوليت من رتب * وعزادراك ما أوليت من نعم

(قوله وجل الخ) أى عظم ذلك فلا يحاط به وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أى ما أولاك الله وقوله من رتب بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاي أى امتنع ذلك فلا يحصل لاحد غيرك وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أى ما أولاك مولاك وقوله من نعم بيان لما والمراد من النعم الامور المنعم بها وكل من الجملةين اما مستأنف أو معطوف على ما تقدم

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركا غير منهم دم

(قوله بشرى لنا الخ) أى هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى خبر مبتدأ محذوف ولنا صفة له ويحتمل أن بشرى مبتدأ ولنا خبر وساغ الابتداء ببشرى لانها فى معنى النكرة الموصوفة فانها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الاسلام أى معشر أهل الاسلام وهو منصوب على الاختصاص أى أخص معشر الاسلام وقوله ان لنا من العناية ركا غير منهم دم أى ان لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا فى الازل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة التصريحية

الاصالة حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات في كل واستعار
اسم المشبه به للشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لا مطلقا بل بخصوص
النسخ أماتنا الله على سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته

لمادعا الله داعينا للطاعة * باكرم الرسل كآكرم الامم

(قوله لمادعا الله الخ) أى لما سمي الله الخ ولا يخفى أن لما شرطية ودعا فعل
الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق بداعينا وباكرم الرسل
متعلق بدعا وكآكرم الامم جواب الشرط والمعنى لما سمي الله النبي صلى
الله عليه وسلم الذي دعانا أى طلبنا الطاعة تعالى باكرم الرسل كآكرم
أمة أكرم الامم لان أكرم الرسل لا يبعث الا لاكرم الامم وفي التنزيل كنتم
خير أمة أخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل
وجعل لطاعته متعلقا بدعا والمعنى عليه لمادعانا الله وهو داعينا لطاعته
بواسطة أكرم الرسل كآكرم الامم والاقول أقرب كما لا يخفى

راعت قلوب العدا انباء بعثته * كنبأة أجفلت عقلا من الغم

(قوله راعت الخ) أى أفرغت الخ وهذه الجملة مستأنفة وقلوب بالانصب
مفعول مقدم راعت لكن على تقدير مضاف أى أصحاب قلوب ويحتمل
أنه سمي الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء وأراد الكل على
سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو والمراد بهم الكفار
واباء بعثته بالرفع فاعل مؤخر راعت ولا يخفى أن اسناد راعت الى أنباء
البعثة من المجاز العقلي لان موجد الروح في القلوب هو الله تعالى وأنباء
بعثته انما هي سبب فهو من اسناد الفعل الى سببه والمراد بأنباء بعثته
أخبارها التي صدرت من الكهان والاحبار وغيرهم كقولهم انه
سيظهر دين يغلب كل دين وانما أفرغتهم لغفلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه
بعد ولو كانوا ملتفتين اليها ما فرغوا منها وقوله كنبأة أى مثل نبأة أى زارة
الاسد التي هي صوته وجملة أجفلت بالجيم والفاء أى أفرغت صفة لنبأة

وغفلا بضم الغين وسكون الفاء جمع غافل وهو مفعول لاجفلت وقوله
من الغم بيان لغفلا مشوب بتبعيض وانما كانت غفلا لكونها راحة
في ربيعها مشغلة في اكلها وشهواتها فأجفلها ذلك الصوت وفرقها

ما زال يلقاهم في كل معترك * حتى حكوا باللقنا على وضم

(قوله ما زال الخ) أي لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه
تارة وبخيله ورجله أخرى في كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم
ويلقاهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعترك بفتح الراء محل
الاعتراك أي الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله ما زال يلقاهم في كل
معترك وقوله حكوا بفتح الكاف لأن اصله حكى واقلبت الياء الفاء لتحركها
وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومعنى حكوا شابهوا
وقوله باللقنا أي بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية أي
بسبب طعنهم باللقنا وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل
واللقنا جمع قناة وهي الرمح ولحم مفعول لقوله حكوا وقوله على وضم متعلق
بمحذوف صفة للحم والوضم بالاضاد المجعلة ما يضع القصاب اللحم عليه
معدن يأخذه وهو المسمى بالطبالية وقيل أنه الحديد الذي يغرز فيه
اللحم حين يشوى ليؤكل وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم ما زال
يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدن لا كل السباع والطيور لحومهم
ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون
هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة

(ودّوا الفرار فكادوا يغبطون به * اشلاء شالت مع العقبان والرخم

(قوله ودّوا الفرار الخ) أي تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم وانما تمنوه
مع أنه أقبح الخصال واذمها عند العرب فانه من أفعال اللثام وما كانوا
يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم
للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولات حين فرارهم من غضب الله

تعالى الذي حل بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويد المؤمنين نزل
 هربهم منزلة المحال الذي لا ينال الا بالتمنى وقوله فكادوا يغبطون به أشلاء
 شالت مع العقبان والرخم أى قلمتهم ذلك قربوا من ان يغبطوا بذلك
 الفرار أشلاء على وزن اشياء أى اعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها
 مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمه
 وهى نوع من الطير أيضاً وانما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون
 غيرهما والغبطة هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره
 فكانهم يقولون يا ليت لنا مثل ما لاهم التى ارتفعت مع العقبان
 والرخم الى منازلها وأشلاء جمع شلوا بكسر الشين وسكون اللام وهو
 العضو من اللحم وانما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التى ارتفعت
 بها لما يدينهم وبين تلك الاعضاء من المشابهة لانهم لا حركة لهم ولا قوة بسبب
 طعن القنا وغيره فحالهم كماله الاعضاء لا كماله العقبان والرخم

تمضى الليالى ولا يدرون عدتها * ما لم تكن من ليالى الاشهر الحرم

(قوله تمضى الليالى الخ) أى تمر عليهم الليالى بايامها والحال أنهم لا يعلمون
 عددها من شدة ما دخل فى قلوبهم من الفرع وخاصر بواطنهم من الهلع
 بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من
 الخوف وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم فلا يدرون عدة الايام بليالها
 وعلم مما تقران الواو فى قوله ولا يدرون عدتها والحوال وقوله ما لم تكن
 من ليالى الاشهر الحرم أى ما لم تكن تلك الليالى من ليالى الاشهر الحرم
 التى هى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب بخلاف ما اذا كانت تلك
 الليالى من ليالى الاشهر الحرم المذكورة فانها تمضى عليهم ويدرون عدتها
 لكونهم يفتقون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم ويوجد لهم
 تمييزهم لامسالك النبي والمؤمنين عن جهادهم فى الاشهر الحرم فى صدر
 الاسلام عند من رأى أن منسحقنا لهم فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو
 ضعيف وما ذكرناه فى عد الاشهر الحرم هو الصحيح وقيل هى المحرم ورجب

اشهر الحرم

وذو القعدة وذو الحجة وعلى الأول فهي من سنتين وعلى الثاني فهي من سنة
وترتب على الخلاف ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذا القعدة
أولا إلى آخرها ويصوم على الثاني المحرم إلى آخرها

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم * بكل قرم إلى لحم العدا قرم

(قوله كأنما الدين الخ) أي كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة
الكفار فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار كما قاله بعض الشارحين وهو
قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير في ذلك راجع للصحابة كما قاله
بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف
وسكون الراء أي مع كل شجاع لأن هذا الضيف الذي وقع التشبيه به
شجاع فلذا نزل مع شجاع أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون
الشجاع وقوله إلى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الراء أي شديد الشهوة
إلى لحم العدا للمسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور
متعلق به وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم عائد على الكفار
كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة
إلى لحم العدا للمسلمين ومن شأن الضيوف إذا كانوا أكراما أن يشبعوا عند
المضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا إقامة الظاهر مقام المضمحل
والإفكان مقتضى الظاهر أن يقول إلى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم
بالعداوة للمسلمين وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم راجعا إلى
الصحابة كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع
شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين ومن شأن المضيف أن يشبع
ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الأخبار بكثرة القتل
في الكفار

يجر بحر خميس فوق ساحة * يرمي بموج من الأبطال ملطم

(قوله يجر الخ) أي يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الراء الذي

هو الشجاع فالمراد بالجرح هنا الاستتباع فيكون قد شبه الاستتباع بالجرح واستعار اسم المشبه به للشبه ثم اشتق منه بجرح بمعنى يستتبع ويحتمل انه شبه الخميس الذي هو كالبحر بدابة تجر برسن تشبها مضمر في النفس وحذف اسم المشبه به ورخص اليه بشئ من لوازمه وهو الجرح فهو تخييل للاستعارة بالكناية وقوله بحر خميس اي خميسا كالبحر في تموجه واهلاكه الكفار فهو من اضافة المشبه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمي بذلك لانه مركب من خمس قوائم مقدمة وممينة وميسرة وساقاة وقلب وقوله فوق ساجحة اي كائن فوق خيل ساجحة اي مسرعة في طلب الكفار كالساج في البحر وقوله يرمى بموج الخ صفة للخميس والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرهما فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح وقوله من الابطال أي صادر ذلك الموج من الابطال وانما لم يقل منهم مع ان الابطال نفس الجيش لا فائدة أن ذلك الجيش كله أبطال والابطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج اي ملتطم بفضه ببعض

من كل منتدب لله محتسب * يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

(قوله من كل منتدب الخ) الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله اي من كل مجيب الخ فالمنتدب بكسر الدال على انه اسم فاعل وضبطه بعض الشروخ بفتحها على انه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله محتسب اي مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو اي يصول وقوله بمستأصل للكفر اي بالآلة مستأصلة لاهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال اي ضرب يلطم من أصلهم يقال استأصله اذازاله من أصله وقوله مصطلم اي مهلك لهم يقال اصطلمه اذا أهلكه وفي الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو توکید

حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم

(قوله حتى غدت الخ) اي وما زال هذا المنتدب يسطو بمستاصل لاهل الكفر الى ان غدت الخ فهو غاية المحذوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المجمة وقوله ملة الاسلام اي ملة هي الاسلام فلاضافة في ذلك من اضافة الاعم الى الاخص لان الملة تشمل سائر الاديان وقوله وهي بهم اي وهي محبوبة بالصحابة والجملة اقترابية بين اسم غدت وهو ملة الاسلام وخبرها وهو موصولة الرحم وقوله من بعد خبرتها متعلق بغدت بمعنى صارت والمراد بغربتها عدم شهرتها القلة من ينتمي اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على انه خبر لغدت كما علمت والمراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمي اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصول الرحم واستعار اسم المشبهة للمشبهة واشبار ذلك الى حديث مسلم بدا الاسلام غريبا اي ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم

مكفولة ابدانهم بخير أب * وخير بعل فلم تدين ولم تنم

(قوله مكفولة الخ) اي محفوظة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله ابدان طرف لقوله مكفولة وقوله منهم اي من الكفار وقوله بخير أب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فانه أشفق على أمته من الاب على أولاده واقوم بمصالحهم من البعل على زوجته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين ولا شك أن المرأة التي كفها خير أب وخير بعل في غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله فلم تدين بفتح التاء من وسكون المشاة التحتية بينهما ما أي من جهة الاب وقوله ولم تنم بفتح التاء وكسر الهمزة أي من جهة البعل ففي ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر التاء ويتم بفتحها اذا مات أبوه وهو صغير ويقال آمت المرأة تنم بكامت تبسع اذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامي منكم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم * ماذا رأى منهم في كل مصطدم

(قوله هم الجبال الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنفاً بيانياً لأنها جواب عما يقال من الذين صارت بهم الملة إلى هذه الحالة والكلام على التشبيه أي هم كالجبال في الصبر والصلابة وهذا يسميه البيانون تشبيهاً بليغاً لاستعارة وقوله فسل عنهم مصادمهم أي أن ارتببت في هذا فسل عنهم من صادمهم من أعدائهم ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ أخبار مصادمهم أو فلي مصادمهم على تقدير حياته والاف كيف يتصور سؤاله الآن وقد مات من مدة مشين من السنين حتى عاذر فانا والمصادمة اصط- كالك الصفين وقوله ماذا رأى منهم أي من الشدة التي لا توصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وإذا اسم موصول خبر أي أي شيء الذي رأى ويصح أن يكون ماذا ابتماها اسم استفهام وعلى هذا فهو مفرد بخلافه على الأول فهو جملة وقوله في كل مصطدم بفتح الدال أي في كل مكان الاصطدام الذي هو اصط- كالك الصفين كما مر والمراد بالاصطدم الاماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو رد الصدور على الاستعارة ومن هنا إلى قوله طارت قلوب العدا الخ خاصيتها أن من كتبها على باب بلد أو دار أو بستان ما دامت مكتوبة لا يصل إلى ذلك سارق ولا دود ولا غير ذلك قال قائل هذه الفائدة قد جربت في القمح والشعير وغيرهما وقال أيضاً كتبت هذه الأبيات على باب دار فجاء السارق فسمع صوتنا في الدار فرجع ثم قال لأصحابه ذلك فأخبروه بأن صاحب البيت غائب جمعة من ثم رجع ثانياً ليلة فسمع فيه صوتنا يقول له ما غبت شيئاً ومنعه الله ببركة هذه الأبيات

قائدة

وسل حنيناً وسل بدر أو سل أحدا * فصول حنف لهم أدهى من الوخم

(قوله وسل حنيناً الخ) أي وسل زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة أحد ويحتمل أن يكون مراده وسل أهل حنين وسل

أهل بدر ورسول أهل أحد أو رسول مؤرخ وقعة حنين ورسول مؤرخ وقعة بدر
 ورسول مؤرخ وقعة أحد والتفسير الأول أولى لأن قوله فصول حذف بدل
 من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل وبعضهم جعله خبر مبتدا
 محذوف أي هي فصول الخ ومعنى قوله فصول حذف لهم أمانة موت
 للكفار وقوله أدهى من الوخم أي أشد أذية عليهم لما يصيبهم فيه من
 الوخم الذي هو الوباء فان ما يموت منهم في زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ
 كثرة من يموت منهم في زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة
 الواحدة وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواديين مكة
 والطائف وفيه النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع
 المشركين فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسببت أموالهم ونسأؤهم
 وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين
 وبدر اسم ماء على طريق مكة بين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا
 وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر
 منهم سبعون وكان عددهم نحو ألف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى أنه
 نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة
 الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمام بيض قد
 ارخوا أطرافها بين أكتافهم ولم تقابل الملائكة في سوى يوم بدر وإنما
 يكونون عددا ومددا وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث وهو اسم
 لجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون
 منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان المسلمون
 سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف والحرب سجال واحدة لنا
 وواحدة علينا

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت * من العدا كل مسود من اللمم
 (قوله المصدرى البيض الخ) أي أمدح المصدرى البيض الخ فهو مفعول
 لفعل محذوف وأصله المصدرين لكن حذف نونه للاضحاكة ان جعلنا

المصدرى مضافا للبيض أو للتخفيف ان جعلناه غير مضاف والمصدرين
جمع مصدر بضم الميم من أصدر عن الماء رجوع ويقال أصدره غيره أى
أرجعه والمراد من البيض السيوف المصقولة فشبها السيوف المذكورة
بابل بيض أوردت يذبوعا أسود يجرى بماء احمر ثم أصدرت عنه حمرا من
تلبسها بالماء الذى وردته تشبها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به
ورض اليه بشئ من لوازمه وهو الاصدار ففيه استعارة بالكناية وتخيل
وقوله حمرا أى من الدماء التى خالطتها وهو حال من البيض وقوله بعد
ما ردت أى بعد ورودها فإما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل
مسود الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من اللحم أى الشعر المجاور لشحمة
الاذن فاللحم بكسر اللام جمع لمة زهى الشعر المذكور ومن زائدة لان
المعنى على الاضافة والتقدير كل مسود اللحم فحاصل المعنى أمدح الصحابة
الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء
بعد ورودها كل شخص مسود اللحم حال كونه من العدا وفى ذلك دليل
على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون الا بقتل مسود
اللحم من العدا وهم الشبان فى الغالب

والكاتبين بسم الخط ما تركت * أقلامهم حرف جسم غير منجم

(قوله والكاتبين بسم الخط) عطف على قوله المصدرى البيض وأراد
من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه الطعن بالكناية بجماع التأثير
فى كل واستعار الكناية للطعن واشتق من الكناية بمعنى الطعن الكاتبين
بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والمراد بسم الخط
الخط الرماح الخطية فالسهم جمع سهم وهو الرمح والخط شجر تتخذ منه
تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجاب اليه تلك الرماح من الهند
وقوله ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منجم أى لم تترك أسنة
رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير ضال بحجته بل ازالته
بحجته أى خفاه بالطعن بان طعنته ليمتيز الكفار من المؤمنين فان

الامر مختلف في الحروب فيتميز الكافر بطعنه والمؤمن بسلامته كما يتميز
الحرف المعجم بنقطة والمهملي بخلوه عن النقطة فالمراد باقلامهم اسنة
رماحهم فيكون قد شبه اسنة رماحهم بالاقلام واستعار اسم المشبه به
للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والحرف بمعنى الطرف
ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على طرف
وجانب من الدين وفي هذا البيت لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتابة
واسنة رماحهم بالاقلام وذلك دليل على غاية احكامهم للطعن بها حتى
انها في ايديهم كالا قلام في يد الكتابة وليس عليهم كبير مشقة في التصرف
بها ومنها الاشارة الى انهم لا يطعنون طعنة الا في محلها كما لا تنقط الكتابة
نقطة الا في محلها ومنها الاشارة الى انهم أعجموا حروف اجسام الكفار
ليتميزوا من المسلمين ويوجد في بعض النسخ بيت وهو

ان قام في جامع الهجاء خاطبهم * تصامت عنه اذ ناصمة الصمم
اي ان قام في مجمع الحرب خاطب الصحابة تغافت عنه اذ ناصمة الصمم
أى أشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت في
روايتي وانما هو في بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلام الناطم
ولذلك وقع الاضطراب في تفسيره وهذا شان كثير مما دخل فيه
وفي ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق محبته رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم * والورد يمتاز بالسباع السالم

(قوله شاكي السلاح الخ) اي حاديه كما عليه الجوهرى وبعضهم فسره
بتأقيمه اي جامعين لانواعه والمناسب لا خذه من الشوكة التي هي الحدة
الاول وتركيب شاكي السلاح كتركيب المصدرى البيض فاصليه
شاكين السلاح لكن حذف منه النون للاضافة او للتخفيف واصل
شاكي شاو ك قد خله القلب المكفى فصار شاكو ثم دخله القلب الثاني
فصار شاكي وقوله لهم سيما تميزهم اي لهم علامة تميزهم عن غيرهم قال
تعالى محمد رسول الله والذين معه أشد على الكفار رحما بينهم تراهم

ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر
السجود قال بعضهم يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر
وقوله والورد يمتاز بالسيما عن السلم أي والورد يتميز من السلم بالعلامة من
طيب الرائحة وحسن الخلقة وبهاء المنظر فإن السلم بضد ذلك فالورد
والسلم وإن اشتركا في أن كلا شجر مورق ذو شوك إلا أن بينهما فرقا ظاهرا
لكل ذي بصرة وكذلك الصحابة وغيرهم فأنهما وإن اشتركا في أن كلا ذو
سلاح إلا أن بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصيرة فالصحابة يمتازون من
غيرهم بشرف المنزلة وطيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلقة فإن
غيرهم بضد ذلك فالمقصود من قوله والورد الخ توضيح الفرق

تهدي اليك رياح النصر نشرهم * فتحسب الزهر في الكلام كل كمي

(قوله تهدي اليك) أي ترسل اليك الرياح التي حصل بها النصر خبرهم
الसार على وجه الهدية فتهدى بمعنى ترسل وهو بضم التاء من الهدى
والمراد برياح النصر الرياح التي حصل بها النصر فالإضافة لا دني ملازمة
وبحتمل أن المراد بها بركات النصر وثمراته وقد يراد بالرياح الدولات كما
في قول الشاعر

إذا هبت رياحك فاعتنمها * فعتقي كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة وقوله
فتحسب الزهر في الكلام كل كمي كان حق الكلام أن يقول فتحسب كل كمي
الزهر في الكلام لكن المصنف قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله
ومهمه مغبرة أرجأه * فكان لون أرضه سماؤه

والزهر نور الشجر كما مر والاكلم جمع كم وهو غلاف النور والكي الشجاع
في سلاحه من كمي جسده بالسلاح إذا استره به وأصله كمي بتشديد الياء
حذفت منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة للوقوف وحاصل المعنى أنه
لما قبحت الأزهار في رياض ملة الاسلام برياح نصرهم كان كياتهم هذه
الرياح من تلك الأزهار وتنشر إلى الشام روائح نصرهم فتظن كل بطل في

الدرع الغامرة زهرا في الاكام الفاخرة وانما قيد بكونه في الاكام لأنه
في أكامه احسن منظر او اطيب رائحة منه في خارج الاكام

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحر لا من شدة الحر

(قوله كانهم في ظهور الخيل الخ) اي كان الصحابة حال كونهم على ظهور
الخيل نبت ربا في الاستقرار والثبوت حتى انهم لو تحركوا عليهم لم ينقلعوا
من ظهور الخيل وانما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك
نبت الربا اذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفي ظهور الخيل حال وفي بمعنى
على كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون ولا صلبنكم في جذوع النخل والربا
جميع ربوة بتشليل الراء وهي ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون اثبت من غيره
لطول عروقه حتى يصل الى الماء ويكون احسن من غيره لأنه لا يستقر
عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح فتجده اخضر يعجب حسنة
الناظرين واما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله او يضعفه فيصغر لونه
وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة في حميل السيل وانما لم يشبههم
بالشجر لان الكفار تشبههم في عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن
والاتقاء واما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحر لا من
الشين المعجمة وفتح الحاء المهملة وسكون الزاي اي وذلك اعنى
استقرارهم وثبوتهم في ظهور الخيل من قوة جودة رأيهم وتدابيرهم
وقوله لا من شدة الحر بفتح الشين المعجمة وضم الحاء والزاي اي لا من
ربط الحر الذي يربط بها السرج او غيره على ظهر الدابة وظاهر ان من
في الموضعين بمعنى لام التعليل

طار قلب العدا من بأسهم فرقا * فماتفرق بين اليهم واليهم

(قوله طارت قلوب العدا الخ) أي اضطربت قلوب العدا الخ فشيبه
الاضطراب بالطيران واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران
بعد استعارته للاضطراب طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة

التصريحية التبعية وقوله من بأسهم أي من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا بفتحات أي فزعا وهو مفعول لاجله أي لاجل الفرق والفرع الذي حل بهم وقوله فماتفرق بين الهم والهم أي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين الهم بشئ الباء الموحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهي السخلة فالهم هي السخال وهي اولاد الضأن وبين الهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع فالهم هم الشجعان ولا يخفى ان تفرق في كلامه بضم التاء وتشديد الراء من فرق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم

(قوله ومن تكن برسول الله الخ) لما ذكر انه حصل للعدا الفرع الشديد من بأس الصحابة أشار الى ان ذلك انما هو بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ أي ومن تكن نصرته برسول الله كالصحابة ومن حذا حذوهم الخ ولا تكون النصر برسول الله صلى الله عليه وسلم الا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو تقوى الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شيء حتى الاسد في آجامها فن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه وسلم من أعدائه وقوله ان تلقه الاسد في آجامها تجم أي ان تلق الاسد التي هي جمع أسد وهو الحيوان المعروف من تكن نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم حالة كونها في آجامها التي هي جمع اجمة وهي الغابات أي المحلات التي تستتر فيها كالاشجار الملتفة تجم بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيئته فلا يسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها دالا عليها فبأنها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وانما قيد الاسد بكونها في آجامها لانها فيها أجزأ منها في غيرها فانه لا يقدر أحد على ان يدخل عليها فيها ولو انتزعت منه أعز ما يكون عليه لكن ان لقيت المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال وهذا ويحتمل ان المراد

بالاسيد الشجعان وبالأجام الحصون ويناسب حمل الاسد على حقيقة قتلها
قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد وهي انه خرج
عليه سبع بالصحراء فقال اقسمت عليك برسول الله ان تسكن فسكن
وهذا البيت واللذان بعده خاصيتها ان من كان خائفا في بحر أو بر وكتبها
بريقه في كتفه وأراها للسباع فانها تذهب عنه باذن الله تعالى

ولن ترى من ولي غير منتصر * به ولا من عدو غير منقسم

(قوله ولن ترى من ولي الخ) ترى بصريّة على ما يقتضيه كلام بعض
الشارحين ويحتمل انها علمية ومن زائدة في المفعول والمراد بالولي من آمن
به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به أى
برسول الله فان قيل ما فائدة قوله ولا من عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولي
الخ مع انه اذا خبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو منقسم لان من
المعلوم ان احد المتقابلين اذا انتصر كان مقابله بضد ذلك وبضد هاتين
الاشياء اجيب بان لا نسلم انه اذا خبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو
منقسم وانما يعلم منه انه غير منتصر وذلك اعم من كونه منقسما لجواز ان
ينهزم مع سلامته والاعم لا اشعار له بالاختصاص وعلى تسليم علم ذلك منه
فعلمه منه بالضرورة والمناسب لمقام المدح التصريح والمنقسم بالقاف وفي
بعض النسخ بالفاء والاول اولى لان القسم بالفاء القطع من غير ابانة
والقسم بالقاف القطع مع الابانة كما تقدم

أحل أمته في حرز ملته * كاليث حل مع الاشبال في اجم

(قوله أحل أمته الخ) هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكأنه قال لانه
أحل أمته الخ وقوله في حرز ملته أى في ملته الشبيهة بالحرز فالإضافة
في ذلك من إضافة المشبهة به للشبيه كما في قول الشاعر

والريح أعبت بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على الجين الماء
وانما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرز لانها تحفظ من اتبعها

من نار الكفر فهي كاعظم الحصون المنيعه التي لا يدخلها الا من هو من
اهلها وقوله كالليث حل مع الاشبال في اجم أى فالنبي صلى الله عليه
وسلم حل مع امته في ملته كالليث حل مع اشباله في الاجم فكأنه
لا يستطيع احد الدخول على الليث مع اشباله في الاجم لا يستطيع احد
الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امته في ملته والليث هو
الاسد والاشبال هي اولاده والاجم جمع اجمة وهي الغابة اى الشجر
الملتف لا يقال ما أفاده قوله كالليث الخ من ان الليث في هذه الحالة يخاف
منه غيره بخلافه ما أفاده قوله سابقا ان تلقه الاسد في آجامها تنجم لأننا
نقول الاسد انما تنجم في آجامها من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافي ان غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا

كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله كم جدلت كلمات الله الخ) لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف
وتارة تكون بالحج وقد تقدم الكلام على الحالة الاولى اخذت كلام على
الحالة الثانية فقال كم جدلت كلمات الله الخ وكم خبرية في الموضعين بمعنى
كثيرا والمجروور تميزها وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها اى قطعت
وازال جداله وكلمات الله هي القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من
جدل جدلا اى أحكم الخصومة أحكما وقوله فيه اى في امره صلى الله
عليه وسلم وقوله وكم خصم البرهان من خصم أى وكثيرا خصم البرهان
الذى هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد وهو شديد الخصومة
وفيه الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل والتقدير من خصم فيه اى في
امر الله صلى الله عليه وسلم وحاصل معنى البيت كثيرا ما أزال القرآن
جدال المجادل في امره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما أزال الدليل القاطع
خصومة شديد الخصومة في امره صلى الله عليه وسلم والاوّل اشارة
الى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين الساتين له صلى الله عليه وسلم
ومن ذلك ما نقل من ان اليهود قالوا القريش سلوه عن الروح وعن اصحاب

الكهف وعن ذى القرنين فان اجاب عن الكل أو سكت عن الكل
فليس نبى وان اجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبى فنزلت
قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ونزل قل الروح من امر ربي
فاحال علمها الى ربه والثاني اشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم من
الآيات حين سأله آية على رسالته كالشفاق القمر وغيره ولا يخفى ان
عطف الثاني على الاول من عطف العام على الخاص وهذا البيت
والذى بعده خاصيتهما ان من كتبهما في ورقة بيضاء لصغير وجعلها في
قصة وربطها في خيط حرير وعلقها عليه فإنه لا يصيبه شيطان ولا مرض
ولا غير ذلك

كفالك بالعلم في الامى معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتيم

(قوله كفالك بالعلم الخ) لما ذكر انه كثيرا ما خصم البرهان من خصم عقب
ذلك بذكر برهانه حيث قال كفالك بالعلم الخ أى كفالك العلم فالباء زائدة
في الفاعل لان زيادتها في فاعل كفى كثيرة وقوله في الامى اى في النبى الامى
وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب نسبة للام كأنه على الهيئة التى نزل عليها من
امه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه دليل على ان
القرآن من عند الله واما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم
والجار والمجرور حال من العلم او صفة له وقوله معجزة أى من جهة المعجزة
فهو تمييز للنسبة في كفى وقوله في الجاهلية اى الزمن الذى لا علم فيه والجار
والمجرور مثل الجار والمجرور قبله وانما قيد بقوله في الامى وقوله في الجاهلية
لان كلامه كونه أميا وكونه في الجاهلية منظمة لعدم العلم لانه لا يكون
الا بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرأ ولا يكتب او بملافاة العلماء وهو
منتفى في الجاهلية فتعين ان علمه صلى الله عليه وسلم ليس الا بتعليم من
الله تعالى وقوله والتأديب في اليتيم اى وكفالك بالتأديب في اليتيم معجزة فهو
معطوف على قوله بالعلم لكن المراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة
وان لم يكن مقرونا بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة فاندفع ما يقال ان

كونه صلى الله عليه وسلم مؤدباً في حال يمه لا يعد معجزة لان المعجزة هي
الامر الخارق للعادة المقررون بالتحدى وهو صلى الله عليه وسلم في حال يمه
لم يتحد لان التحدي لا يكون الا بعد الاربعة والاربعين والمراد من التأديب التأديب
او انه مصدر المبنى لفعل فمعنى كونه مؤدباً ليكون وصفا للنبي صلى
الله عليه وسلم وانما قيد بقوله في اليتيم بضمين كك ما هو لغة في اليتيم بضم
فسكون لان شأن اليتيم وهو الصغير الذي لا اب له أن لا يكون فيه من
الادب ما يكون في غيره فان الاب غالباً يهتم بتأديب ابنه ويسعى في تكميله
باكتساب الصفات الحميدة بخلاف غير الاب وهو صلى الله عليه وسلم
قدمت عنه أبوه قبل ولادته وقيل بعدها وترى عليه الصلاة والسلام في
كفالة عمه أبي طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدباً بحسن الاخلاق
على خلاف العادة في اليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله آتيني
فاحسن تأديبي وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغه من
آصدي لها ومن الآداب ما لا يتاله من له مؤدب فدل ذلك على أنه رسول
الله حقاً

خدمته بمدح استقبل به * ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

(قوله خدمته بمدح الخ) أي خدمته صلى الله عليه وسلم بما تقدم من
المدح اطلب من الله أن يقبلني بسبب هذا المدح ذنوب عمر مضى في الشعر
مدحاً لآبناء الدنيا والخدم بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع
خدمة فالمراد بالمدح ما تقدم من المدح والسين والتناء للطلب كما تقدمت
الاشارة اليه وجملة قوله مضى الخ صفة لعمر وقد ذكر بعضهم ان الناطم
كان في مبدأ أمره كاتب انشاء عند بعض السلاطين وقيل انه كان وزيراً
وهذا وان كان مباحاً الا انه قد يجوز الى المحرم كما يؤخذ من البيت بعده
ومن هنا الى آخر قوله ولم أزد زهرة الدنيا حاصيتها للمسوع تكتب بماء
المطر والورد وتحمي ويشير بها فانها تزول سر يعاها ان الله تعالى

خاتمة للماء

اذ قلد انى ماتخشى عواقبه * كأننى بهما هدى من النعم

(قوله اذ قلد انى الخ) أى لانهما قلدا انى الخ فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير الفاعل فى قلدا انى للشعروا الخدم وقوله ماتخشى عواقبه أى آثامها تخشى عواقبها من أنواع العذاب ان لم يغفرها الله تعالى فما واقعة على الآثام والمراد بعواقبها أنواع العذاب وقوله كأننى بهما هدى من النعم أى كأننى بسبب الشعروا الخدم هدى من النعم التى هى الابل والبقر والغنم ومن شأن الهدى ان يقلد يجعل شئ فى عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدى وحاصل المعنى أن الشعروا الخدم جعلوا الآثام التى تخشى عواقبها من أنواع العذاب قلادة فى عنقى فصرت بسببهما شبه الهدى من النعم فكما لا يخفى حال الهدى على من رآه بما جعل فى عنقه من نعل ونحوه كذلك لا يخفى حالى على من رآنى وعرف حالى بما اكتسبته من الآثام التى تخشى عواقبها بسبب الشعروا الخدم

اطعت غى الصبا فى الحالتين وما * حصلت الاعلى الآثام والندم

(قوله اطعت غى الصبا الخ) بين بهذا البيت سبب كون الشعروا الخدم قلدا له الآثام التى تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غى الصبا والغى ضد الهدى واضيف للصبا لانه يدعوا اليه فانه زمن الجهل والبطالة وقوله فى الحالتين أى حالتى الشعروا الخدم وقوله وما حصلت الاعلى الآثام والندم أى وما حصلت منهما الاعلى الآثام التى صدرت منى وعلى الندم على تلك الآثام

فيا خسارة نفس فى تجارتها * لم تشترا الدين بالدنيا ولم تسم

(قوله فيا خسارة نفس الخ) هذا البيت تحقيق للندم وتبكيت للنفس لان فيه نداء عليها يا خسارة فى تجارتها فانه قال يا خسارة نفس موصوفة بما ذكر احضرى فهذا اوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس والتعجب منها فان عادة العرب اذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه

ليحضر وقوله في تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتتر الدين بالدنيا أى لم تأخذ الدين بدل الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقي الى الخسيس الفاني وقوله ولم تسم بفتح المثناة الفوقية وضم السين المهملة أى ولم تتعرض لاخذ الدين بدل الدنيا بل أخذت الدنيا وتركت الدين الذى تجوبه فى الآخرة وكان الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة حيث اتبعت الشعر والخدم لا بناء الدنيا ولو صحها التوفيق لتركت ذلك واشتغلت بالدين لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء

ومن يبيع أجلا منه بعاجله * بين له الغبن فى بيع وفى سلم

(قوله ومن يبيع أجلا منه الخ) هذا البيت يتم لتحقيق الندم وتبكيك النفس لان فيه توعدا بالغبن حيث بين فيه ان من يبيع الأجل بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالأجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية وبالعاجل الذى يأخذه من الدنيا المذهبة الفانية وهذا على ما فى كثير من النسخ مما نصه ومن يبيع أجلا منه بعاجله وفى بعضها ومن يبيع عاجلا منه بعاجله وعليه فالمراد بالعاجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية وبالأجل الشئ الذى يأخذه من الدنيا الفانية المذهبة وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة ولما كان الثواب المذكور محققا ولا بد أطلاق عليه عاجل لأنه كأنه حاصل بالفعل ولما كان الشئ الذى يأخذه من الدنيا غير محقق أطلاق عليه آجل والنظائر ان الضمير فى منه راجع للدين فى البيت قبله كذا قال بعض الشارحين والظاهر انه راجع لمن يبيع كالضمير فى عاجله راجع لمن له الغبن أى يظهر له الخداع وقوله فى يبيع وفى سلم كل منهما متعلق بالغبن والعطف فى ذلك من قبيل عطف التفسير لأن البيع المذكور فى كلام المصنف يسمى سلما فاندفع ما يقال الذى تقدم فى كلام الناظم هو صورة السلم وان صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرق احتمال أن يكون فى كلام الناظم حذف والتقدير ومن يبيع أجلا من متاع الآخرة بعاجله من متاع

الدنيا أو يشترى عاجلاً من متاع الدنيا بأجله من متاع الآخرة فقلوه
في بيع راجع للصورة الاولى وقوله وفي سلم راجع للصورة الثانية وفيه
تكلف

ان آت ذنباً فاعهدى بمنتهى * من النبي ولا حبلى بمنصرم

(قوله ان آت ذنباً الخ) هذا البيت تأنيس للنفس وترج لها في رحمة الله
تعالى وآت أصله آت بمزتين قلبت الثانية ألفاً فصارت آت بالمد وهو
محذوم بان الشرطية وعلامة جزمه حذف الياء وقوله فاعهدى بمنتهى
من النسبي أى فيما ايمانى بمنقطع عن النبي لان الذنب لا ينقض الايمان
فالمراد بالعهد الايمان فتكون الاضافة في قوله عهدى للعهد والمعهود هو
الايمان وقوله ولا حبلى بمنصرم أى ولا وصل الى بمنقطع من النبي صلى الله
عليه وسلم فالحبلى مستعار للوصول وفي البيت الحذف من الشاى لدلالة
الاول كفى نظائره والتقدير ولا حبلى بمنصرم من النبي

فان لى ذمة منه بتسميتى * محمد او هو أو فى الخلق بالذمم

(قوله فان لى ذمة الخ) هذا البيت تعاليل للبيت قبله ووجه ذلك ان
اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فانه
لا يتسمى بالاسم الا من احب مسماه واماً من يكرهه فلا يتسمى به وقوله
وهو أو فى الخلق بالذمم أى وهو صلى الله عليه وسلم أشدهم وفاءً بايقوم
بحقها بان يشفع لاهلها العظم جاهه وعلوم كنته عنده وفى كلام
المصنف ترغيب فى التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى ذلك
احاديث فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فبأمرهما الى الجنة فيقولان
ربنا سمأ هلهنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل
عبدى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه
احمد او محمد وعن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا يقم من

اسمه محمد فدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر
ينادي يوم القيامة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف فيقول الله عز وجل
اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن أبي أمامة من ولده
مولود فسماه محمد اتبركا كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها
من اسمه أحمد أو محمد الا قدس الله ذلك المنزل مرتين وبالجملة فالترسمية
باسمه صلى الله عليه وسلم أمر مندوب اليه نسأل الله تعالى أن ينظمنا
في سلك محبيه بمنه وفضله ورحمته

ان لم يكن في معادى أخذ ابدي * فضلا والافقل يا زلة القدم

(قوله ان لم يكن في معادى المح) أي ان لم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودى
الى الله تعالى أخذ ابدي بان يشفع لى حال كون ذلك فضلا منه لالسابقة
منى تقتضى ذلك فقل يا زلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع
في الشدة والاى والالم يكن في ذلك اليوم أخذ ابدي بان كان أخذ ابدي
فقل يا ثبات القدم وهو كناية عن حسن الحال وحصول النعمة فقوله
خطا بالمن جرده من نفسه فقل يا زلة القدم جواب الشرط الاول وهو قوله
ان لم يكن في معادى أخذ ابدي وجواب الشرط الثانى وهو قوله والافان
اصله ان الشرطية المدغمة في لا النافية محذوف لدلالة المقام والسيماق
عليه والتقدير والافقل يا ثبات القدم أى وان انتفى لم يكن أخذ ابدي
بان كان أخذ ابدي فقل يا ثبات قدمى وهذا يدفع استشكل هذا
البديت بان الظاهر منه ان قوله فقل يا زلة القدم جواب الشرط الثانى
فيصير المعنى وان انتفى لم يكن أخذ ابدي بان كان أخذ ابدي فقل يا زلة
القدم وهذا فاسد لا شك في بطلانه وهذا كله على ما فى النسخ من قوله
ان لم يكن في معادى المح وقيل الرواية فان يكن في معادى المح وعليه فلا
اشكال لان جواب الشرط الاول محذوف للعلم به من المقام والسيماق
وجواب الشرط الثانى مذکور بقوله فقل يا زلة القدم وتقدير البديت على

هذا فان يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودى الى الله تعالى اخذ بيدي
بان يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة منى تقتضى ذلك فقل
بإثبات القدم والاى وان لم يكن كذلك فقل يا زلة القدم وهذا ظاهر
لا اشكال فيه

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه * أو يرجع الجار منه غير محترم

(قوله حاشاه أن يحرم الراجى) هذا البيت لزيادة تسكين النفس من خوفها
وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة وهى التنزيه فهو
واقع موقع المصدر فيكون منصوبا بفعل مضمير والتقدير أحاشيه حاشاه
أى أنزهه تنزيهه والضمير المتصل به فى محل جربا ضافته اليه وأما حاشا
المستعمل فى الاستثناء فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور
وقوله ان يحرم الراجى مكارمه أى من أن يحرم النبى صلى الله عليه وسلم
الراجى منه مكارمه فهو على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبى صلى
الله عليه وسلم والراجى مفعول وسكنت بأؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة
والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم على أنه مضارع أحرم وفتحها على
أنه مضارع حرم فإنه يقال أحرمه يحرمه بضم الياء وحرمه يحرمه بفتحها
ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح أيضا بأؤه للمفعول
وعليه فالراجى نائب فاعل وتسكين يائه حينئذ ظاهر وقوله أو يرجع الجار
منه غير محترم الظاهر ان أو بمعنى الواو فالتعنى وحاشاه من ان يرجع الجار
منه أى المستجير به الداخلى فى جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما
بشفاعته صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير ومنه بمعنى به وغير محترم
حال من الجار جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين

ومنذ ألزمت أفكارى مداخه * وجدته لخلاصى خير ما لزم

(قوله ومنذ ألزمت أفكارى مداخه) هذا البيت استدلال على قوة رجائه
وانه لا يخيب فى ظنه فكأنه قال انما قوى رجائى وانى لا أخيب فى ظنى لانى

منذ الزمت افكارى الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجدته وافكارى
مفعول اول لازمت ومدائح مفعوله الثانى والضمير العائد على النبي صلى
الله عليه وسلم مفعول اول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاى مفعوله الثانى
وبه يتعاق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبي صلى الله عليه
وسلم فى الزمن الذى الزمت فيه افكارى مدائح خير ملتزم لخلاصى من
جميع الشدائد التى تصيبنى والافكار جمع فكرو وهو حركة النفس
فى المعقولات والمدائح جمع مدح وهو الثناء الحسن وانما كان صلى الله
عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لانه وفى بخلاصه منها على
احسن الوجوه وانما اشار المصنف بذلك الى الداء الذى كان اصابه وهو
داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى انشاء هذه القصيدة
فانه لما اصاب به عملها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده
الكريمة عليه فعوفى فلما استيقظ قال له بعض اصحابه الصالحين اسمعنى
القصيدة التى مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه
صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل مثل القضيبي

ولن يفوت الغنى منه يد اتربت * ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم

(قوله ولن يفوت الغنى الخ) هذه الجملة مستأنفة والغنى بالكسر مع
القصر اليسار ومع المد تطريب الصوت مع سرور وبالفتح مع القصر
الاقامة ومع المد الكفاية والضمير فى منه عائد على النبي صلى الله عليه
وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف اما صفة لاغنى أو حال فالقول ان
قدر معرفة والثانى ان قدر نكرة ومن لا ابتداء وقوله يد مفعول وجملة
قوله تربت صفة ليدأ وتربت بكسر الراء أى التصقت بالتراب لتكونها
مفتقرة افتقار احسب ان ضيعت ما كان فيها من الاموال أو معنوياتها
ضيعت ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وانما لم يفوت الغنى منه
صلى الله عليه وسلم اليد المذكورة لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم
لجميع الايدى التى تكون كذلك ومنه ما يد المناظـم وقد استدل على ذلك

بقوله ان الحيا ينبت الازهار في الاكم ووجه الاستدلال بذلك انه كما يشاهد
محسوسا ان الحيا بالقصر الذي هو المطر ينبت الازهار جمع زهر في الاكم
بضمين جمع اكمة كقصب جمع قصبة والا كمة هي الربوة أي المحل المرتفع
من الارض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها علوها
كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى وهو اليد
التي تربت وانما انبت الحيا الازهار في الاكم مع أنها مظنة عدم النبات
بسبب عدم استقرار الماء عليها وسرعة انحداره عنها العمومه حتى لا اكم
والتشبيه المذكور انما هو على سبيل التقريب والا فهو عليه الصلاة
والسلام لا يحيط بحقيقة كماله الا الله تعالى

ولم ارد زهرة الدنيا التي اقطفت * يد ازهر بما اثني على هرم

(قوله ولم ارد زهرة الدنيا الخ) لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوهم
التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا دفع هذا التوهم بقوله ولم ارد زهرة
الدنيا الخ اي وانما اردت الغنى منه في الآخرة بالشفاعة في المذنبين والمراد
بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره وانما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها
بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سر يعافيه كون في ذلك استعارة
تصريحية والتعبير بالاقطاف ترشيح لها وهو اما باق على حقيقته أو
مستعار للاخذ وقوله يد ازهر فاعل باقطفت والمراد بزهر الشاعر
المشهور وهو ابن أبي سلي بضم السين أبو كعب صاحب بانث سعاد
القصيدة المشهورة وله اخت تسمى الخنساء كانت شاعرة مشهورة
وكان الشعراء يسمون ورثة ولذلك كان زهير من الشعراء المقدمين على سائر
الشعراء الجاهلية كأميرئ القيس والنابعة الذبياني وعنترة وطرفة بن
العبد وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير وعمره مائة سنة
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعنني من شيطانك فما لك بعد هابتا حتى
مات وقوله بما اثني على هرم أي بالمدح الذي اثني به على هرم بكسر الراء
وهو أحد أجواد العرب وكان أحد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان

بالحاء المهملة وبعدها مشاة تحتية وكان يصل زهيراً بالصلات الجزيلة
الخارجة عن العادة ومن جملة ما اتفق له معه انه حلف انه كلما مدحه
أعطاه غرة عبداً أو أمة أو قيمتها وإنه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى انه
من كثرة إعطائه له استحبى منه فساكن إذا رآه في قوم قال انعموا صبيحاً غير
هرم فكل هذا لم يرده الناظم اجلالاً لمدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك
اذ لا يتوسل بالعظيم الانبيل عظيم

يا اكرم الرسل مالى من ألؤذبه * سؤال عند حلول الحادث العمم

(قوله يا اكرم الرسل الخ) لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل
الاخبار عن الغائب أقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا اكرم
الرسل وفي بعض النسخ يا اكرم الخلق ولـ يكونه صلى الله عليه وسلم اكرم
الرسل واكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى وهي شفاعة صلى الله عليه
وسلم في فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من ألؤذبه سؤال أى ليس لى احد
التجى اليه غيرك وقوله عند حلول الحادث العمم أى عند نزول الحادث
العام أى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة فان
كلام الرسل يقول حينئذ نفسى نفسى ويخبر بان الله غضب اليوم
غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول أمى أمى وقيل المراد بذلك الحادث الموت

ولن يضق يا رسول الله جاهك بى * اذا الكريم تحلى باسم منتقم

(قوله ولن يضق يا رسول الله جاهك الخ) أى بل هو رحب واسع يسعنى
ويسع كل عاص مثلى فجاء على بالشفاعة لتقضى مما استحقه من العقاب
والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو مأخوذ من الوجاهة وهي رفعة القدر
وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه أى معروف مشهور بحسن الذكرو وجوده
الرأى وقوله بى أى عنى وقوله اذا الكريم تحلى باسم منتقم أى وذلك أعنى
عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو
منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو

يوم القيامة وتحلى بالحاء المهمة بمعنى اتصف وبالجيم بمعنى انكشف
والاقل أصح رواية والثاني أصح رواية وهذا الشرط لا مفهوم له فهو
مفهوم موافقة لان جاهه عليه الصلاة والسلام لا يضيق في كل وقت وقد
قيل في كلام الناطم اشكال كبير وقلق عسير أما الاشكال فلانه يقتضي
ان الكريم ينصف في المستقبل بالانتقام لان اذا الاستقبال مع ان صفاته
تعالى قديمة لم تزل ولا تزال واما القلق فلان الاسم عند أهل السنة هو
المسمى وحينئذ فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو الكريم
بالمسمى الذي هو الاسم وهو المسمى الذي هو المنتقم وهو في غاية القلق ورده
ذلك بان كلام الناطم مبني على طريق ابي الحسن الاشعري وهو المرضي
من مذهب أهل السنة وحاصله في ذلك أن الكريم والمنتقم صفتان
فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية
عند الاشاعرة حادثة لانه لا يرجع منها الى الفاعل معني قائمه ولذا قال
أئمتنا لا يتصف البارئ تعالى بكونه خالقاً في الازل لا مجازاً ولا نسلم أن
كل اسم عين المسمى بل من اسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل ماديات
التسمية به على فعل كالحالق وبذلك اندفع الاشكال والقلق في كلام الناطم
نعم رد عليه انه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين في وقت واحد
في محل واحد فان المراد بالكرم التجاوز عن الذنب او ما يتضمن ذلك
والمراد بالانتقام المؤاخذه بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما في الوقت الواحد
في المحل الواحد ويجب ان المراد بالكريم من شأنه الكرم والتجاوز
عن المفوات والمراد بالمنتقم من اتصف بالانتقام بالفعل فصفته تعالى
حينئذ الانتقام والاخذ بالجرائم بالفعل وهذا لا ينافي ان شأنه تعالى
الكرم والتجاوز عن المفوات

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

(قوله فان من جودك الدنيا الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال
وانما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيرى من العصاة

لان من جودك الدنيا الخ ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ما قابل الاخرى
ولذلك جعلها النظم ضررها وفي كلامه تقدير مضاف أي خيرى الدنيا
وضررها التي هي الآخرة فن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس
ومن خير الآخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن علومك علم
الالوح والقلم من جهة التعليل ليكون جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق
عنه لانه لا شك أن العلم من أكبر أسباب عظم الجاه وعلوه ويجوز أن
يكون مستأنفا ومن في قوله ومن علومك للتبعيض أيضا فهي للتبعيض
في الموضوعين والمراد بعلمه صلى الله عليه وسلم المعلومات التي أطلعها
الله عليها فانه تعالى أطلعها على علوم الأولين والآخرين والمراد بعلم اللوح
والقلم المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بأمر الله تعالى فانه ورد أول
ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مقادير
كل شيء حتى تقوم الساعة من مات على غير ذلك فليس مني أي ليس على
طريقتي وأستش كل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه
وسلم بأن من جملة علم اللوح والقلم الامور الخمسة المذكورة في آخر سورة
لقمان مع أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلمها لان الله قد استأثر بعلمها
فلا يتم التبعيض المذكور واجيب بعدم تسليم ان هذه الامور الخمسة مما
كتب القلم في اللوح والا لا طلع عليها من شأنه ان يطلع على اللوح
كـ بعض الملائكة المقربين وعلى تسليم انها مما كتب القلم في اللوح فالمراد
ان بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه
المخلوق فخرجت هذه الامور الخمسة على انه صلى الله عليه وسلم لم يخرج
من الدنيا الا بعد أن اعلمه الله تعالى بهذه الامور فان قيل اذا كان علم
اللوحة والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر أجيب
بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة لان القلم انما
كتب في اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة فقط كما تقدم في الحديث

انه الله عنده
وينزل الغيث
لا يعلم ما في الارض
وما تدرى نفس
تكتب غذاوم
نفس باى ارض
ان الله اعلم خيرا
لقائما

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت * ان السكائر في الغفران كاللحم

(قوله يا نفس لا تقنطى الخ) لما خاف الناظم على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف أقبل عليها بخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه وأصل قوله يا نفس يا نفسى بالاضافة لباء المتكلم فحذفت ياء المتكلم ويجوز ضم السين وكسرها كما في قولك يا عبد وقوله لا تقنطى أى لا تيأسى وهو بفتح النون على لغة كسرها فى ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت أى من أجل زلة كبرت فن للتعليل ويحتمل أنها التعدية لكن على تقدير مضاف والأصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاى وتشديد اللام الذنب وقوله ان الكبائر فى الغفران كاللحم أى ان الذنوب العظام التى ارتكبتها أيتها النفس فى جانب الغفران أى بالنسبة له كصغار الذنوب فالكبائر هى الذنوب العظام واللم بفتح اللام المشددة وفتح الميم أيضا صغار الذنوب ومعلوم انه تعالى يغفر الصغائر فكذلك الكبائر قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى قول الناظم ان الكبائر فى الغفران كاللحم رد على من زعم أن الكبائر ليست كالصغائر كالمعتزلة فانهم يقولون بأن الكبائر لا تغفر بل مرتكبيها يخلد فى النار لانه ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون انه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر والحق مذهب أهل السنة ان الكبائر كالصغائر فى الغفران وهو الموافق للقرآن والسنة وللدليل العقلى لانه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحم عليه عقاب فالثواب من فضله والعقاب من عدله لا يستل عما يفعل وهم يستلون

لعل رحمة ربي حين يقسمها * تأتى على حسب العصيان فى القسم

(قوله لعل رحمة ربي الخ) لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كأنها قالت له أنا لا أقنط لكن أخشى أن لا يكون حظى من الرحمة قدر ذنوبى التى ارتكبتها فاجابها بقوله لعل رحمة ربي الخ أى أرجو أن تكون رحمة ربي تأتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فن حمل

من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من الرحمة شديدا كبيرا ومن حمل
من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شديدا صغيرا والمراد
الرحمة التي تنال العصاة لا الرحمة العامة التي تنال المطيع أيضا فلا يقال
اذ قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فإن قيل كلام
الناظم يقتضي ان من كانت ذنوبه اكثر كان ما يناله من الرحمة أعظم
وكيف يصح ذلك مع ان من كانت ذنوبه اقل كان أقرب للرحمة وأقرب
منه من كان طائعا أجيب بان الكلام في الرحمة التي تنال العاصين
وقسمها على هذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك وأورد عليه أن
مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر
في علم الكلام أنه لا بد من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته
صلى الله عليه وسلم وأجيب بأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هي الشفاعة
العامة للراحة من هول الموقف

يا رب واجعل رجائي غير منعكس * لديك واجعل حسابي غير مخترم

(قوله يا رب واجعل رجائي الخ) لما اشتملت هذه القصيدة على أنواع
التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدح صلى الله عليه وسلم وذكر بعض
معجزاته ومدح القرآن ومدح الصحابة وذم الكفار والاقرار بالذنب
ختمها بالدعاء ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يا رب أصله
يا ربى بالاضافة لياء المتكلم ثم حذفت ياء المتكلم للتخفيف وقوله واجعل
رجائي الخ معطوف على محذوف والتقدير يا رب ارحمني واجعل رجائي
للرحمة غير منعكس أى غير خائب بأن يحصل المرجو من عفوك عن ذنوبي
كبائرها وصغائرها وقوله لديك أى عندك وهو ظرف لقوله اجعل أو
لمنعكس وقوله واجعل حسابي غير مخترم أى اجعل ما حسبه أى ظنفته
من الجميل فيك وهو أن تنيلني من فضلك وكرامتك ما يليق بي غير ناقص
بأن يحصل المحسوب أى المظنون تاما كاملا وفي كلامه الحذف
من الثاني لدلالة الاول أى غير مخترم لديك وفي الحديث حكاية عن الله

تعالى أنا عند ظن عبدي بي ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قال من غلب عليه الرجاء

واني لأرجو الله حتى كأني * أرى مجيئ اللطف ما الله صانع
وفسر بعضهم قوله واجعل حسابي غير متخرم بأن المعنى واجعل تعداد
الامور الصادرة منك يا الله لي غير منقطع ونوقش بأنه يلزم عليه أن الناظم
طلب أن لا ينقطع عذابه لان من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال
حسابه فكيف بمن دام حساباه ولو قال واجعل تعداد الامور الصادرة
منك يا الله لي غير معوج بأن يكون مستقيما خلص من هذه المناقشة

والطف بعبدك في الدارين ان له * صبرا متى تدعه الا هو ال ينهرم
(قوله والطف بعبدك الخ) هذا البيت من تمام الدعاء ومعنى الطف
أرفق اذا اللطف معناه الرفق ومعنى يا لعبد نفسه واختار الوصف
بالعبودية لما فيها من غاية المذلة والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله
في الدارين أي داري الدنيا والآخرة أي فيما قدرت عليه فيها ثم علل ذلك
بقوله ان له صبرا أي ان لعبدك صبرا لا يثبت بل متى تدعه الا هو ال
ينهرم امامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف ين دفع الهلاك وقد
امثل الناظم في هذا الدعاء لامره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا
يقول اللهم هب لي الصبر فقال له طلبت من الله البلاء فاطلب منه
العافية

وأذن لسحب صلاة منك دائمة * على النبي بمنهل ومنسجم
(قوله وأذن لسحب صلاة الخ) لا يخفى أن قوله اذن فعل دعاء والاذن في
حقه تعالى بمعنى الاباحة واللام للتعديدية والسحب يسكون الحاء كما هو لغة
في السحب بضمها وان جعله بعض الشارحين للتخفيف وهو جمع سحب
الذي هو الغيم وازدافه سحب للصلاة من اضافة المشبهة به للمشبهة أي
لالصلاة الشبيهة بالسحب في ان كلا رحمة وقوله منك صفة لصلاة وقوله

دائمة صفة أيضا الصلابة ويحتمل أنه صفة لسحب وقوله على النبي أي
صادرة على النبي المعهود وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والباء في قوله
بمنهل ومنسجم متعلقة بآذن فهي للتعدية وفي الكلام موصوف محذوف
والقدير بمطر بمنهل ومطر منسجم والمنهل المنصب لشدة والمنسجم
السائل لعدم شدته

مارنحت عذبات البان ربح صبا* وأطرب العيس حادي العيس بالنغم
(قوله مارنحت عذبات البان الخ) أي مدة ترنج عذبات البان الخ
فما صدرية ظرفية والترنج التميل وعذبات البان أغصانه والبان شجر
معروف طيب الرائحة وقوله ربح صبا بفتح الصاد فاعل برنحت والمراد
بربح الصبا الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة وانما سميت
بذلك لأنها تصبو أي تميل إليها وتسمى قبولا بفتح القاف لأنها تقابل بهبوبها
المشرق وأصول الرياح أربعة الأولى الصبا وقد علمتها والثانية المدبور
وهي الريح الغربية التي تأتي من مغرب الشمس وانما سميت بذلك لأن من
استقبل المشرق استدبرها والثالثة الشمال بفتح الشين وهي الريح البحرية
التي يسار بها في البحر على كل حال وانما سميت بذلك لأنها عن شمال من
استقبل المشرق والرابعة الجنوب بفتح الجيم وهي الريح القبلية وعامة
المصريين يعبرون عنها بالمريسي لأنها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من
السودان حسان الوجوه وكل ربح جاءت بين مهبي ريحين يقال لها
النكباء سميت بذلك لأنها نكبت أي عدلت عن مهب تلك الرياح الأربعة
وقد نظم الشيخ المجاعى جاصل ما تقدم بقوله

أصول رياح أربع سم بالصبا* قبولا أنت من مطلع الشمس شرقه
دبور أنت من مغرب الشمس فاعلم* لذا عند مصر سم يا صاح غريبه
شمال نخي من عن شمال مشرق* يسار بها في البحر تدعى بحريه
* جنوب تسمى بالمريسي نسبة* لبلدان السودان وتنفى لقبليته
* وما بين ريحين تهب قسمها* بنكباء تجرى كالاصول بلامريه

وقوله وأطرب العيس الخ أى ومدة اطرب العيس الخ فهو معطوف على قوله رنحت والاطراب احداث الطرب وهو خفة تلشأ عن سرور مقتضية للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الماء بعدها وان كان أصلاها الضم وهى ابل بيض يخالطها شقرة أى حمرة شديدة وهى من كرام الابل ويقال للذ كرا عيس وللانثى عيساء والمراد بجادى العيس سائقها فهو من حداجد واذا ساق الابل وقوله بالنغم متعاق باطرب والنغم بفتح النون الصوت الحسن وللا بل خاصية عظيمة فى حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادى وكل ما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر حتى أنها تقطع المسافة الكثيرة فى الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى أن الترنيح والاطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك أقت الصلاة بهما ويحتمل أنه أراد بذلك التأييد فكأنه قال دائما وأبدا وانما خص البان والعيس لانهم ما من مالوفات الأجابة وتخصيص ريح الصبا أظهر من ذلك لانها تصبوا الى باب الكعبة التى هى أعظم مكان فى البلد الذى هو مسقط رأس حبيبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يحتمل أنه أشار بالعذبات الى عذبة النبى صلى الله عليه وسلم لتمامها بتمامها صلى الله عليه وسلم عند سماعه المديح وأشار بالبان الى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل أعظم وأشار بالعيس الى أمة لطر بهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادى وأشار بالنغم الى المديح وحاصل المعنى على هذا ما تاملت عذبة النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذا سماع المديح وأطرب المادح أمة بمديحه صلى الله عليه وسلم وفى هذا البيت الذى قبله براءة الختام وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة وهى فى الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لانه آخر ما يبقى فى الأسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ويوجد فى بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين لكن لا بأس

بها وهي

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر * وعن علي وعن عثمان ذي الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فهم * أهل التقى والنقا والحلم والكرم
يارب بالمصطفى باع مقاصدنا * واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر الهى لكل المسلمين بما * تتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاء من بيته في طيبة حرم * واسمه قسم من أعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت * والحمد لله في بدء وفي ختم
أبياته فاقدأت ستين مع مائة * فرج بها كربنا يا واسع الكرم

حمد المن بنعمته تتم الصالحات * والصلاة والسلام على افضل
الموجودات * وعلى آله واصحابه ذوى الفضائل الباهرات * ما تعاقب
الملوان وطلعت النيرات * وبعد فقد طبعت هذه الحاشية الجليلة
المشتملة على الفوائد الجزيلة التي ألفها امام عصره وفريد مصره شيخ
الاسلام وقدة العلماء الاعلام الشيخ ابراهيم الباجوري اسكنه الله
في غرفات جنانه وافاض عليه من نعمات روحه وريحانه وقد
صححها الفقير مصطفى وهبي مع بذل الوسع في مقابلتها على نسخة المؤلف
التي بخطه وكان ذلك على ذمة القاضين المسكرين جناب السيد عبد الله
النهارى وجناب الشيخ ابو طالب المينى تزيلى مكة المشرفة الزاهرة

شرفها الله الى يوم الآخرة وقد انتهى طبعها بالمطبعة

الزهية الكائنة بحمروسة مصر المعزية

في اوائل شعبان المعظم من شهر ر سنة

الف ومائتين وثلثين وثمانين ١٢٨٢

من هجرة النبي المسكر

المنفخم صلى الله

عليه وسلم

ترجمة المؤلف

هو العالم الفاضل الفريد والامام الكامل الوحيد الذي اشتهر بصيته في الآفاق وشهدت بفضل له الاعداء بالاتفاق مولانا الشيخ ابراهيم الباجوري بن الشيخ محمد الجيزاوي ولد رحمه الله سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة البجور وهي قرية من قرى مصر المحروسة على مسافة اثنتي عشرة ساعة منها نشأ في حجر والده السعيد وقرأ عليه القرآن المجيد فلما ترعرع ونما انتقل الى الجامع الازهر الاسمي وسنه اذذاك أربعة عشر كما سمع منه رحمه الله واشتهر ثم لما تعاقبت الفرنساوية على البلاد المصرية سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية ارتحل من مصر الى براجزه وأقام بهامدة وجيزه ولما أخرجت الفرنساوية من تلك البلاد وقرت عيون أهلها بالصالح بعد الفساد عاد الشيخ الى الجامع الازهر الشريف وبذل جهده في تحصيل العلم الشريف ففارق أهل زمانه وسماعه أقرانه واستفاد العلوم النافعة وافاد وكان كمن قال وأجاد

نفس عصام سؤدت عصاما * وعلمته الصكر والاقداما

وكان قد أدرك الافاضل الاعلام المعروفين بجلالة القدر بين الانام منهم الفاضل الجليل الشهير الشيخ محمد الامير الكبير والعالم العامل مغفور المساوي الشيخ عبد الله الشرفاوي والامام الحافظ الراوي الشيخ داود القلعاوي وغيرهم ممن كان في ذلك العصر الزاهر من ذوى الكمالات والمظاهر الا ان أكثر تحصيله كان على شجرة ذي المعالي الشيخ محمد الفضالي والخبر الهمام ذي الجذبة الالهية الشيخ حسن القويسني الشهير بفنائه الهية واستمر على ذلك الحال الى ان ظهرت امارات نجح الآمال فامتلا وطابه من نفائس العلوم وتفجرت أنهار افادته من تلك النجوم وفاح نفع فضله في كل ناد وطارد كره في جميع البلاد وآلف التآليف العديدة المفيدة وقصدته الطلبة من

البلاد القرية والبعيدة فهو تارة يشنف المسامع بدرر الفوائد وتارة
يزين سطور الطروس بحاسن الفرائد وتأليفه مشحونة بالتحقيقات
السنية فن جمانها هذه الحاشية البهية وقد انتهت اليه رئاسة الجامع
الازهر ومحفل الدين الانور وتقلدها في شهر شعبان المعظم سنة
الف ومائتين وثلاث وستين من هجرة سيد الاولين والآخرين لاغزو
وهو ابن نجلتها والتمام بوظائف نجلتها وفي اثنائها قرأ كتاب الفخر
الرازي في تفسير القرآن وحضره افاضل الجامع الازهر الاعيان
لكن لم يقدر له الا تمام فانه اصابه مرض الحماق ولم يزل ملازما له الى
ان توفي رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ألف
ومائتين وسبع وسبعين فيكون عمره قد ناهز الثمانين وصلى عليه
بالازهر وكان يوما مشهودا لم يكن لغيره من المشايخ معهودا ودفن
بالقرافة الكبرى المشهورة بالمجاورين رحمة الله عليه وعاليهم اجمعين

❦ وللشيخ البوصيري في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ❦
يا رب صل على المختار من مضر * والانبياء جميع الرسل ما ذكرنا
وصل رب على الهادي وشيعته * وصحبه من لطى الدين قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا * وهاجروا وله آوا وقد نصرنا
وبينوا الفرض والمنون واختصموا * لله واعتصموا بالله وانتصروا
ازكي صلاة وانماها واشرفها * يعطر الكون منها نشرها العطر
معبوقة بعبوق المسك زكية * من طيها أرج الرضوان ينتشر
عذ الخصى والثرى والرملى يتبعها * نجم السما ونبات الارض والمدر
وعتوزن مثاقيل الجبال كما * يليه قطر جميع الماء والمطر
وعتما حوت الاشجار من ورق * وكل حرف غدايتلى ويستطر
والوخش والطير والاسماك مع نعم * يلهم الجن والاملاك والبشر
والذرو النمل مع جمع الحبوب كذا * والشعر والصوف والارياش والوبر
وما احاط به العلم المحيط وما * جرى به القلم المأمور والقدر

وعدّ نعمائك الالاهى منبت بها * على الخلائق مذ كانوا مذحشروا
 وبعث مقداره السامى الذى شرفت * به النبىون والاملاك وافتحروا
 وعدّما كان فى الاكران ياسندى * وما يكون الى أن تبعث الصور
 فى كل طرفه عين يظرفون بها * أهلى السموات والارضين أو يذروا
 ملاء السموات والارضين مع جبل * والعرش والعرش والكرسى وما حصروا
 ما أعدم الله موجودا ووجد معدوما صلاة دوام اليبس تنحصر
 تستغرق العدم مع جمع الدهور كما * تحيط بالحد لا تبقى ولا تذر
 لا غاية وانتهاء يا عظيم لها * ولا لها أمد يقضى فيعتبر
 وعدّما ضعف ما قد مر من عدد * مع ضعف أضعافه يا من له القدر
 كما تحب وترضى سبيدى وكما * أمرتنا أن نصلى انت مقتدر
 مع السلام كما قد مر من عدد * رب وضاعفهما والفضل منتشر
 وكل ذلك مضروب بحقك فى * أنفاس خلقك ان قلوبا وان كثروا
 يا رب واغفر لقارها وسامعها * والمسلمين جميعا أينما حضروا
 يا رب أعظم لنا أجرا ومغفرة * فانّ جودك بجرليس ينحصر
 ووالدينا وأهلينا وجيرتنا * وكلنا سبيدى للعفو نفتقر
 والطف بنا ربنا فى كل نازلة * لطفنا عيما به الالهوال تنحصر
 بالمصطفى المجتبى خيرا لانام ومن * جلالة نزلت فى مدحه السور
 صلّ وسلم ربى دائما ابدا * عليه أضعاف ما قد مر ينتشر
 والآل والصحب والأنبياء قاطبة * واختم بخير لنا اذ ينهى العمر
 تمت الصلاة المضرة

